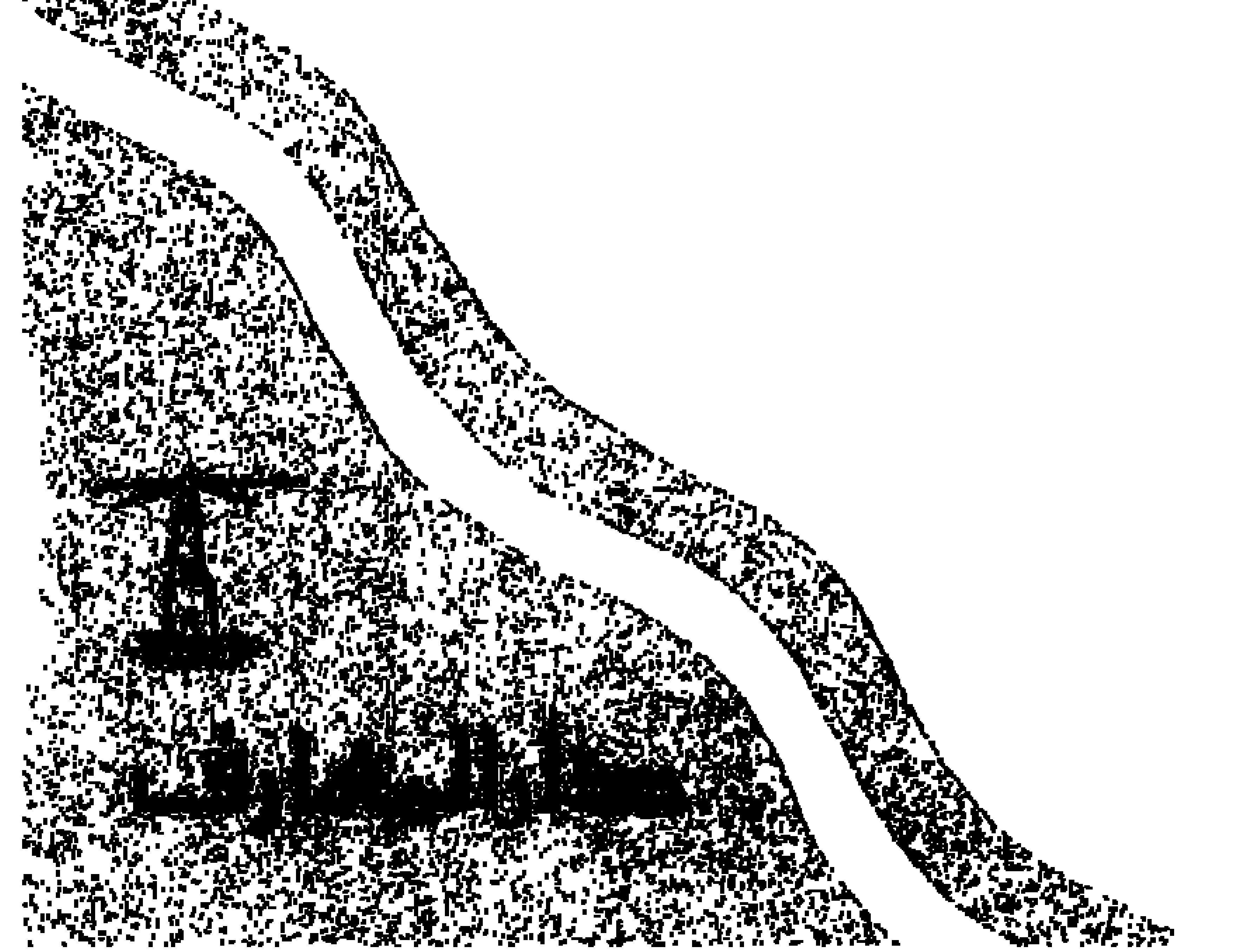
اقرأ

محمد السيد أيوب

اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة



اليمن بين القات وفساد الحكم
قبل الثورة

محمد السيد أيوب

اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة

اقرأ ٢٤٦

دار المعارف

اقرأ ٢٤٦ — يونية سنة ١٩٦٣

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. ع. م.

تقديم

إن مستقبل أى بلد من البلاد يرتبط ارتباطاً مباشراً
بنوع البشر الذى يعيشون فيه . (نهرو)

كتب هذا البحث وأعد للطبع قبل قيام ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢ التى أطاحت بحكم الطغاة من بيت حميد الدين الذين استبدوا باليمن دهوراً طويلة . وقد كان الدافع إلى كتابة هذا البحث هو ما شاهده الكاتب بنفسه عند زيارته لليمن فى خريف عام ١٩٥٥ وما رآه من تأثير القات على المجتمع العربى اليمنى وأعتقد بحق أنها كانت وسيلة فعالة من وسائل الطغاة كى يستتب لهم الأمر وتخضع لهم الأعناق ونجحوا فى ذلك ولكن إلى حين إذ لم تخل الأمة من أبناء بررة لم يخضعوا للضيم ولم يرتضوا الهوان قاموا بمحاولات متكررة للقضاء على تلك الفئة من الطغام كان أظهرها ما وقع فى السنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦١ وقد باءت بالإخفاق ثم كتب الله النصر لثورة سبتمبر الماضى .

قامت ثورة عام ١٩٤٨ بتدبير من الأمير إبراهيم ونفر من الشباب الحر الذين كانوا فى المنفى وفى السجون وقتلوا الإمام يحيى بالرصاص وأعلنوا عزمهم على النهوض بالوطن اليمنى ، ولكنهم أخطأوا خطأ تاريخياً كبيراً إذ كانوا فى حاجة إلى قوى خارجية لمساندة ثورتهم ولكنهم بدلا من الاعتماد على القوى

الشعبية فى العالم العربى لجأوا إلى جلادى الشعوب فى ذلك الوقت فى القاهرة وعمان والرياض إلى فاروق وعبد الله وعبد العزيز بن سعود ولذا لم يدم انتصارهم طويلا إذ تمكن الطاغية أحمد بمساندة قبائل الشمال وتمويل عبد العزيز آل سعود أن يقضى على ثورة الأحرار فى ثلاثة أسابيع . ضربت أعناق الأحرار بالسيف وعلقت رؤوسهم أياماً على بوابة صنعاء وقد سمى الملك عبد العزيز آل سعود هؤلاء الشهداء الأحرار « عصابة اللصوص قطاع الطريق » .

وفى عام ١٩٥٥ حاول جماعة من الأحرار ومعهم عبد الله ابن يحيى حميد الدين عزل الطاغية أحمد وحاصروه بقوة قوامها نحو ألفى محارب واضطر أن يوقع بياناً يعلن فيه تكليف أخيه عبد الله بتصريف الأمور العادية لانحراف فى صحته وقد وقع هذا البيان فى الثلاثين من مارس عام ١٩٥٥ وعند ما علم فى الثالث من أبريل بأن ابنه البدر بتشجيع الملك سعود وتأييده بدأ يحشد القبائل الموالية فى الشمال هب فى فجر ذلك اليوم وصعد إلى سطح قصره المحاصر محاطاً ببضعة جنود من أنصاره وقفز إلى مدفع رشاش صوبه على الثوار ففقد المحاصرون معنوياتهم واستسلم بعضهم وفر الباقون وهكذا قضى على الثورة فى خمسة أيام وبقى الطاغية جالساً على كرسيه يحكم البلاد بأسلوبه الفريد فى الظلم والبطش والقسوة .

وفى عام ١٩٦١ نجا أحمد من الموت عند ما أطلق

عليه الرصاص الشهيد الثائر أحمد الثلايا فى مستشفى الحديدة فأصابه في غير مقتل ولكنه ارتمى على الأرض وتظاهر بالموت وفر القاتل مطمئناً إلى نجاح مهمته ولكن الطاغية قام وظل من يومها إلى سبتمبر ١٩٦٢ يعانى من العلة ولم يكن قادراً على الحكم في هذه الفترة فترك زمام الأمور لولده البدر وبقى هو يعانى سكرات الموت البطىء ويتعاطى المورفين بإدمان فكلما فاق من غيبوبته أسرع إلى تعاطى المخدر ليستغرق فى سبات عميق . . . وذهب غير مأسوف عليه ليحاسبه ربه عما جنت يداه طوال حياته ولم تجن شيئاً غير الشر وظلم العباد وسفك الدماء وسلب الحقوق .

وتولى ابنه البدر مكانه ورأى الأحرار من أبناء الوطن أن الفرصة سنحت للإطاحة بهذا النظام الفاسد وكانت ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢ بقيادة الزعيم عبد الله السلال .

ولم تكن الليلة أشبه بالبارحة . . .

فر البدر من صنعاء ولجأ كما لجأ أب له من قبل إلى قبائل الشمال فى صعدة وحرض يطلب منها المؤازرة والمساندة والعون ومد يده طالباً العون المادي من أبناء عبد العزيز آل سعود . . . سعود وفيصل . . .

ويمم زعيم الثورة وجهه قبل الجمهورية العربية المتحدة — مصر — ولكن مصر فى هذه المرة ليس فيها ملوك ولا طغاة . . . بل حكم شعبي رشيد . . . وطلب مساندة صادقة مخلصة قوية

نزيهة ووجد كل ما يحتاجه لنصرة الثورة وجده كاملا غير منقوص ولا مشروط .

وهكذا قضى إلى حيث لا رجعة على بيت حميد الدين والطغاة ومن سار فى ركابهم وعلى نهجهم .

قضى على العلة الأولى التى كانت عقبة كؤوداً فى طريق نهضة اليمن وسيره فى ركاب الحضارة . . . . وبقيت العقبة الثانية ألا وهى القات .

والقضاء على القات أمر ليس سهلاً إذ أصبح عادة يمارسها الجميع وأدمن تعاطيه غالبية الشعب .

ولقد شاءت المصادفات الطيبة أن أسافر لليمن مرة ثانية بعد قيام الثورة عضواً فى الوفد الاقتصادى للجمهورية العربية المتحدة وكلفت برسم تخطيط للسياسة الزراعية للجمهورية اليمنية وعمل تنظيم لإنشاء وزارة للزراعة وتطلب ذلك أن أجوب كل المناطق الزراعية فى التهائم والهضاب والمرتفعات وأن أزور القرى وأجتمع بالمزارعين لأستمع إلى مطالبهم ومشاكلهم الزراعية وزرت مناطق زراعة القات ودرست تفصيلا كل ما يتصل بزراعته وتسويقه واستعماله .

وقد أسعدنى حقاً أنى وجدت شبه إجماع من جمهور الزراع على ضرورة التخلص من القات كخطوة أولى فى سبيل النهوض بالوطن . . . كانوا يقولون : « إننا تعودنا تعاطيه ولكنه هدام معطل لقوانا هادم لصحتنا مضيع لأموالنا » ولكن

لا أخفى أن هناك قلة تتمسك ببقائه لفرط حرصها على تعاطيه وتخشى أن يمس شجرة القات أدنى ضرر .

وعلى ضوء المشاهدات والدراسات التى قمت بها أعتقد أن القضاء على شجرة القات مسألة جوهرية وخطيرة إذ لن يكتب لأى خطة تنمية — فى أى مجال اقتصادى — أى نجاح ما لم تجتث هذه الشجرة ويحرم زراعتها .

والقضاء على القات مشكلة ليست سهلة الحل ولكنها مهما كانت معقدة فلا بد من إيجاد حل لها . . . حل عاجل حاسم لا ينفذ فجأة . ولكن تدريجياً بحيث يتم فى سنوات قليلة وترسم خطة يشترك فيها الاجتماعى والطبيب ورجل الدين والزراعى والمسئولون عن الأمن والتعليم .

ندعو مخلصين لإخواننا فى اليمن أن يتمكنوا من القضاء على القات كما قضوا على الطغاة .

أمة بين ماضيها وحاضرها

هناك فى أقصى الركن الجنوبى الغربى لقارة آسيا وعند ملتقى البحر الأحمر بالمحيط الهندى اختارت الأقدار لشعب اليمن موطناً ومستقراً منذ عرفت الإنسانية الاستقرار بعد أن انقضت فترة الرعى والترحال .

ويشغل الوطن اليمنى جزءاً صغير المساحة من شبه الجزيرة العربية ، ولكنه عظيم الأهمية والأثر بالنسبة للأمة العربية فقد عرف أهل اليمن الحضارة وأسهموا فيها بنصيب وافر منذ فجر التاريخ بل قبل أن يعرف التاريخ المدون . . . حضارة بنّاءة ذات آثار مجيدة عميقة تركت طابعها الواضح فى كثير من نواحى وصور النشاط البشرى . . . فى الدين واللغة والتجارة والزراعة والهندسة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى اليمن وأهله وتجارته وزراعته وحدائقه وجناته في مواضع كثيرة . . . حدثنا عن قوم عاد الذين بنوا مدينة إرم ذات العماد التى لم ير مثلها فى البلاد وعن قصتهم مع نبى الله هود . . . ثم عن ثمود ونبي الله صالح . . . وعن سبأ وقصة ملكتهم بلقيس مع سليمان .

وعن ملوكها وأهلها فى قصة أصحاب الأخدود من نصارى

نجران وما أنزله بهم ملك اليمن ذى نواس الذى اتخذ صنعاء مقراً لحكمه، وعن قصة هذا الملك مع أصحاب الفيل جند النجاشى ملك الحبشة .

وحدثنا عن مركزها التجارى فقد كانت سوقاً رئيسية للتجار العرب يقصدونها فى رحلة الشتاء عند ما يعتدل الجو .

ووصف الزراعة فيها وكيف كانت ناضرة يانعة . . . « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان ، عن يمين وشمال . . . » وكيف كانت البلاد آمنة مطمئنة فى عيشة رغدة . . . . « بلدة طيبة ورب غفور » . . . . وقصة أصحاب الجنة فى سورة القلم . وجاء فى سورة سبأ ذكر لسيل العرم الذى هدم سد مأرب .

وإذا كانت الدراسات التاريخية ليست مستوفاة عن اليمن فإن الآثار القديمة المتناثرة فى طول البلاد وعرضها أكبر شاهد عما كان بها من مجد وارتقاء ، نجد هذه الآثار منتشرة فى كل مكان بين ربوع اليمن فى تهائم السواحل وهضاب النجود ومرتفعات الجبال وإن كان أكثرها قد عبثت به الأيدى ولكن البقية الباقية تدل فى وضوح كيف كان حال البلاد فى الأزمان الغابرة قبل مولد المسيح بعشرات القرون .

وأهم هذه الآثار دون ريب هو سد مأرب الشهير الذى بنى فى مدينة مأرب قبل الميلاد بثمانية قرون ولا تتجلى عظمة

الفن الهندسى فى بناء هذا السد فحسب بل تتجلى أكثر وضوحاً فى المكان الذى اختير لبناء السد ليحجز أكبر قدر من الماء الذى يسيل على سفوح جبال السراة المرتفعة عقب موسم الأمطار ثم تضيع سدى فى الوديان التى تقذف بها إلى الصحراء وقد اختير موضع السد فى أضيق مكان تتجمع عنده ملتقى الوديان التى تسيل بكميات كبيرة من المياه حتى يحتجز أكبر ما يمكن من الماء ثم تقسم وتوزع على الوديان المختلفة طيلة العام إلى أن يحين موعد الأمطار التالى وكان هذا السد سبباً فى تعمير منطقة مأرب حتى أصبحت لزروعها وبساتينها شهرة لا يزال التاريخ يتحدث عنها . وكانوا يحرصون على صيانة هذا السد وترميمه وقيل إن آخر ترميم قام به أبرهة الحبشى فى عام مولد النبى صلوات الله عليه .

وقد تهدم بعد هذا فلم يعمر ثانية فتغير الحال وهلك الزرع والضرع وهاجر سكان المدن والقرى بعد أن نضب معين الرزق وتشتت القبائل التى كانت تستوطن المنطقة فانحازت غسان إلى الشام وجذامة إلى تهامة اليمن وأنمار إلى يثرب والأزد إلى عمان .

ولم يبق من السد إلا بعض جدران قليلة والبوابة اليمنى والبوابة اليسرى وقناة وموزع المياه الذى كان يقسم المياه على الجداول والوديان حسب حاجتها .

وقد ظل هذا السد قائماً يؤدى مهمته نحو ١٥٠٠ عام انتهت قبيل ظهور الإسلام ببضع سنوات .

ولا تزال هناك آثار باقية بين أنقاض مدينة مأرب فلا تزال هناك خرائب للمعابد والقصور .

ومن آثار اليمن القديمة معبد صرواح وقد أسس فى القرن الثامن . قبل الميلاد ولا يزال قائماً ولكنه مهمل وبه نقش يسمى نقش « النصر » وصرواح كانت عاصمة سبأ قبل مأرب .

والعمايد من الآثار الرائعة التى لاتزال قائمة وهى عبارة عن خمسة أعمدة شاهقة الارتفاع .

وبقايا الآثار لا تزال فى بلاد كثيرة أخرى غير مأرب مثل حصن الدعكر فى الجنوب وبقايا مدينة معين فى الجوف ثم بلاد السودا والبيضا وبراقش وغيرها .

والآثار السابقة كلها لمدنية كانت قبل ظهور الإسلام ولم يخل صدر الإسلام من مدنية لا تزال آثارها باقية وإن لم توجه لها أى عناية لدراستها شأنها شأن كل شيء باليمن فتوجد مساجد كثيرة لها طابع معمارى خاص .

كما أن هناك الفن المعمارى الصنعانى وهو ذو طابع خاص مميز .

وأهل اليمن كانوا من أمهر سكان العالم القديم فى الملاحة وفنون البحر وتجارة القوافل وكانت تحركاتهم المتصلة وسيلة لاقتباس حضارات الشعوب الذين يتصلون بهم .

كانوا حلقة الاتصال بين آسيا وأفريقيا وبلدان البحر المتوسط وبلاد الإغريق والرومان .

وكانت أهم التجارات فى العصور القديمة هى تجارة البخور وفى العصور الوسطى تجارة التوابل وكل من البخور والتوابل من منتجات آسيا وخاصة الهند والصين وكان يستهلك هذه الأنواع سكان الشام ومصر والإغريق والرومان فى بلدان أوربا فيما بعد. وكانت تلك البضائع ترد إلى ميناء عدن ومنها تنقلها السفن اليمنية عبر البحر الأحمر إلى البحر المتوسط أو تنقلها القوافل البرية مخترقة الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال حتى تصل غزة وبلاد الشام ثم تعود تلك القوافل مرة أخرى محملة بمنتجات الشام وما فى أسواقها . .

فإذا استعرضنا تاريخهم فى الزراعة وجدنا أمراً عجباً . . . فكما كانوا من أول سكان العالم الذين عرفوا بناء السدود فإنهم كانوا أيضاً من أسبق زراع العالم فى عمل المدرجات الجبلية فكانوا يهذبون سفوح الجبال ويسوونها على هيئة مصاطب لتستقبل مياه الأمطار الساقطة ولا تدعها تسيل على منحدر السفح إلى أسفل فى اتجاه الوادى فإذا كانت هذه المصاطب صخرية نقلوا إليها الطمى الناعم الخصب من أسفل الوادى على أكتافهم أو على دوابهم وهيأوا تربة خصبة تصبح مهاداً غنية بالمواد الغذائية لكل ما يزرع فيها من بذور .

وزرعوا حاصلات وخضر وفاكهة لا قبل لأهل الجزيرة العربية بها وساعدهم على ذلك طبيعة الأرض فاختلاف الارتفاعات ينتج عنه اختلاف درجات الحرارة والرطوبة مما

يعطى فرصة لنمو العديد من المزروعات .

وقد اشتهرت بلادهم فى القديم بزراعة الكروم وصناعة الخمور وزراعة الزيتون واستخراج الزيت .

وقد سبقت تربية الحيوان الزراعة فاعتنوا بتربية الأغنام والماعز والبقر والإبل .

ثم ساهم شعب اليمن بوصفه عضواً عاملا فى الأمة العربية فى صدر الإسلام فى بناء أمجاد أمة العرب فاشترك أبناؤه فى الفتوح الإسلامية التى امتدت بين المحيط الأطلسى غرباً وحدود الهند شرقاً . ونبغ منهم عدد غير قليل من علماء الفقه واللغة والشعر والأدب .

كان هذا لمحة من الماضى المجيد لأمة اليمن . . . فماذا عن حاضرها ؟

لقد استقطع الاستعمار الأوربى الكثير من أراضى اليمن وخاصة من الجنوب والشرق ولم يبق إلا رقعة من الأرض تبلغ مساحتها نحو ١٩٠ ألف كليومتر مربع أى نحو ٤٤ مليوناً من الأفدنة ويسكن هذه الرقعة عدد اختلف فى تقديره بين ثلاثة إلى ستة ملايين نسمة أى بين ١٦ ، ٣٢ نفساً لكل كيلومتر مربع .

ويعتمد أكثرهم على الزراعة وأكثرهم مستقرون فلا توجد إلا قلة من البداوة لا يعتد بها .

وأغلبية السكان تعيش فى المرتفعات الوسطى حيث تجود

الزراعة ويعيش ١٠٪ منهم فى المناطق الساحلية «التهائم» . يحترفون الزراعة أو الصيد والقلة القليلة الباقية تعيش فى النجود . وجميعهم من المسلمين تقريباً. وكانت هناك قلة يهودية ولكنها هاجرت إلى فلسطين المغتصبة؛ وينقسم المسلمون إلى ثلاث طوائف :

الشافعية أو أهل السنة ويقطنون الأراضى الواطئة والمرتفعات المتوسطة .

والزيود وهم فرقة من الشيعة يسكنون المرتفعات ومنهم الطبقة الحاكمة وأكثر رجال الحكومة .

والإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة أيضاً وعددهم قليل ويعيش أكثرهم بالمدن ويحترفون التجارة .

وقد حبت الأقدار أمة اليمن بموارد طبيعية ممتازة فهى بذلك أغنى بلاد الجزيرة العربية دون نقاش . . . وهى :

الثروة الزراعية والحيوانية :

وأول هذه المواد أهمية وأعظمها قدراً الزراعة فموارد المياه كافية لإنتاج زراعة مجزية فمتوسط ما يسقط سنوياً من المطر يبلغ نحو ٥٠٠ مليمتر ويقدر حجمه بنحو ١٠ مليون متر مكعب ويسيل قدر كبير من هذا الماء إلى البحر الأحمر دون أن ينتفع به . وهناك مياه جوفية فى كثير من المناطق ولكن لم ينتفع بها حتى الآن .

ونظراً لاختلاف أجواء المناطق الزراعية فنجد أن الفرصة سانحة لنمو كثير من النباتات التى تنمو بكل من المنطقتين الحارة والمعتدلة .

وأهم الحاصلات الحقلية هى الذرة الرفيعة والدخن والقمح والشعير والذرة والبن والقات .

ويجود كثير من الخضر منها البطاطس والباميا والجزر والبصل والطماطم والبطيخ والخيار والفجل والثوم وغيرها .

ومن الفاكهة النخيل ويوجد نحو ٢٥٠٠٠٠ نخلة والموز والمانجو والرمان والعنب والموالح والتين والتفاح والكمثرى والسفرجل والجوز والزيتون والتين الشوكى والعناب البرى والخرنوب .

كما تزرع كثير من النباتات العطرية .

وتنمو برياً أنواع مختلفة من الأشجار الخشبية منها السنط والسلم والأثل والزيتون والتمر هندى البرى وأنواع من الجميز (الفيكس) والجوز والخرنوب والمخيط والسدر والبطم والكافور والأراك والقضاب والعضاه والهجليج والدبار والأجوى والبشم والمرخ والعلب ويقدر أن الغابات تغطى نحو ٣ ملايين فدان .

والثروة الحيوانية لها اعتبارها فيوجد نحو :

٨,٥	مليون	من الأغنام والماعز
٣٠٠٠٠٠		من الأبقار
٧٠٠٠٠		من الإبل
٢٥٠٠		من الخيل

وتقدر قيمتها حسب الأسعار السائدة محليًّا بنحو ٤٠ مليوناً من الجنيهات المصرية .

ولليمن ساحل طويل على شاطئ البحر الأحمر الغنى بأسماكه وحيواناته البحرية ولكن عملية صيد الأسماك عملية بدائية ويبلغ عدد المشتغلين بالصيد نحو ١٥٠٠ شخص ومتوسط ما يصيدونه سنوياً ٢٠٠٠ طن يستهلك نصفه فى البلاد والباقى يجفف ويصدر إلى عدن أو عن طريقها .

وقوارب وأدوات الصيد وطرق الصيد كلها بسيطة بدائية .

ويوجد بالشاطئ اليمنى أنواع كثيرة من الأسماك جيدة الطعم مرتفعة القيمة الغذائية منها : العربى ، اللسان ، البياض ، الجحش ، مرجان ، عدف ، بهار ، تداف ، دراك ، القرش (لحام) ، باغه ، قوقاب ، وكلها ذات أهمية اقتصادية كما توجد كميات كبيرة من السردين ولكن لا يهتم بها أحد بينما تقوم أرتيريا التى تقع قبالة اليمن على الساحل الغربى للبحر الأحمر بصيد عشرات الآلاف من أطنان السردين وتصدر طازجة أو بعد تصنيعها .

وتوجد مراقد كثيرة للإسفنج فى المياه قليلة الغور تشابه فى صفاتها تلك التى تستعمل الآن فى أرتيريا وتكثر منابت الإسفنج حول جزر جاليتا والمرك وكوبان وتكفاش وحومر ورابن وعجوة وزريمة وقصار وتلافن وعراف واللابرا والبدهى وكدمان وزرات .

وتوجد أيضاً مغاصات للؤلؤ بالقرب من حومر وتعطى دخلا لا بأس به نسبياً .

الثروة المعدنية :

قامت بعثات فنية متعددة من مختلف الجنسيات بالتنقيب عن المعادن وقدمت تقاريرها الفنية للطاغية أحمد ثم توقف الأمر عند هذا الحد فلم تبد أى بادرة لاستغلال هذه الثروات المدفونة وموجز ما جاء بهذه التقارير أن فى منطقة صنعاء كميات كبيرة من الحديد قابلة للاستغلال على أساس اقتصادى سليم .

ووجد الفحم الحجرى بكثرة فى الجنوب حتى إنه يبدو على سطح الأرض فى منحدرات الجبال .

وفى صليف عثر على منجم ملح كان الأتراك قد بدأوا فى استثماره أيام حكمهم ثم أعيد استغلاله أخيراً وهذا الملح يحوى نسبة مرتفعة من كلورور الصوديوم تجعله فى مصاف أفضل مناجم العالم .

وثبت وجود الذهب والفضة واليورانيوم والنحاس والمنجنيز والبوتاس والأسمنت والفوسفات وكلها موجودة بكميات يمكن تعدينها بدرجة مربحة جداً . ويقال إن اليورانيوم موجود بكميات كبيرة نسبياً .

البترول :

قامت شركة ألمانية بالتنقيب عن البترول على الساحل حول الحديدة ثم اختلفت مع الطاغية أحمد فلم يعرف نتائج بحثها . ثم جاءت شركة أمريكية اسمها « شركة التطوير اليمنية » وحصلت على امتياز للتنقيب واستخراج البترول فى مساحة تبلغ ثلثى مساحة اليمن .

وقد بدأت أعمالها منذ عام ١٩٥٦ وكانت متعثرة بسبب خلافاتها المستمرة مع الحكومة السابقة .

وعلى الحدود الجنوبية بين اليمن وعدن توجد منطقة متنازع عليها بين بريطانيا واليمن وتقوم شركة بترول العراق بالبحث عن البترول فى مثلث بيهان — شبوه — عياضه — ويعقد جيولوجيو البترول آمالا كباراً على هذا المثلث .

الطاقة البشرية :

وهى أهم الموارد الطبيعية وأخطرها شأناً وأعلاها مكانة فالإنسان منذ وجوده على سطح الأرض هو الصانع الوحيد لحضارة هذا الكوكب وبه وجدت العلوم والفنون المختلفة وعلى يديه ترتقى وتتقدم كل يوم بل كل لحظة .

والإنسان هو الذى يحول الموارد الخام إلى صورة يمكن استغلالها أو استهلاكها وعلى قدر الهمة التى يبذلها ترتفع كفاءة المورد المستغل وبدون الطاقة البشرية لا يمكن الاستفادة من أى هبة من هبات الطبيعة .

وفى اليمن عدد من السكان هم دون الستة ملايين عداً دينهم الإسلام، ولغتهم العربية ، وهم ذوو عادات وتقاليد واحدة وإن اختلفوا أجناساً بسبب اختلاف الأصل أو بسبب عوامل البيئة فنجد سكان التهائم وهى المناطق الساحلية لإفريقيا سمر الوجوه يدل ظاهرهم على التوالد من عنصر إفريقى وهم أميل إلى النحافة . أما المرتفعات فالناس أطول قامة وأغلظ عظاماً .

والشعب كريم وادع هادئ الطباع يتمسك بمبادئ الدين ويعشق الأدب ولكن غشيته غاشيات من تلك التى تبتلى بها الأمم عطلت الطاقة البشرية كلها عن الإنتاج والعمل المثمر مما أدى إلى عدم الانتفاع من المواد الأخرى المتوافرة فى الوطن اليمنى ونتج عن ذلك فقر مدقع للأمة كلها وتخلف لا مثيل له حتى أصبحت تلك الأمة مضرب الأمثال للفاقة والفقر والتخلف بعد أن كانت مضرب الأمثال للحضارة والفن الهندسى وتقدم الزراعة والتجارة . ففى تقرير لهيئة الأمم عن متوسط دخل الفرد السنوى لمختلف بلاد العالم عام ١٩٤٩ جاء فيه أن ٣١٪ من سكان العالم يقل دخل الفرد فيهم عن ٥٠ دولاراً سنوياً . وأن دخل الفرد فى بعض بلاد العالم هو كالآتى :

الولايات المتحدة الأمريكية	١٥٠٠	دولار
كندا	٨٧٠	دولاراً
سويسرا	٨٤٩	دولاراً
إنجلترا	٧٧٣	دولاراً
لبنان	١٢٥	دولاراً
مصر وسوريا	١٠٠	دولا
العراق	٨٥	دولاراً
اليمن	٤٠	دولاراً

ومنه يتضح أن دخل الفرد اليمنى هو أقل الدخول فى العالم ويبلغ جزءاً من أربعين من دخل الفرد الأمريكى . ومع ذلك فإن هذا الرقم الضئيل الهزيل لا يمثل حقيقة الحال فى اليمن السعيد إذ المعلوم أن متوسط الدخل الفردى هو حاصل قسمة مجموع الدخل الأهلى للبلد على عدد سكانه ولكن الدخل ليس موزعاً توزيعاً متساوياً فى أى بلد .

وفى بلد ساد فيه الإقطاع مثل اليمن حيث كانت تتركز الثروة والدخـــول الضخمة فى أيدى عدد قليل من الأفراد بينما الأكثرية لا تملك شيئاً نستنتج من هذا أن المتوسط الحقيقى لدخل الفرد من عامة الشعب ضئيل لا يبلغ نصف المبلغ السابق ذكره فقد جاء فى تقرير منظمة الأغذية والزراعة

التابعة لهيئة الأمم عام ١٩٥٦ عن ملكية الأراضى الزراعية باليمن أن : ٢٥٪ من مجموع الأراضى المنزرعة كانت مملوكة لأكثر من ٩٠٪ من الملاك . و ٧٥٪ من مجموع الأراضى المنزرعة مملوكة لأقل من ١٠٪ من الملاك أى أن أقل من عشر الملاك الزراعيين يمتلكون ثلاثة أرباع الأراضى المنزرعة باليمن وهى حقيقة بارزة لا تحتاج إلى وصف أو تحليل .

وترتب على هذا الدخل الهزيل نتائج خطيرة يتراكم بعضها فوق بعض ففى مجال الصحة نجد أن هناك العديد من الأمراض الأساسية ذات الخطر تتضمن التيفود والباراتيفود والدوسنتاريا والسل والجدرى والأمراض الجلدية والتناسلية والأمراض الناشئة عن العدوى بالطفيليات مثل الإسكارس والبلهارسيا بنوعيها البولية والمعوية والدودة الشريطية والإنكلستوما .

وثبت أن انتشار السل بنسبة	٥٠٪
والأمراض التناسلية بنسبة	٨٠٪
والتراكوما بنسبة	٩٠٪

والعمى وأمراض العيون شائعة جداً . والملاريا منتشرة لدرجة تعتبر معها أنها من أهم أسباب المرض والموت فى البلاد . ويوجد أكثر هذا المرض فى التهائم وفى وديان المرتفعات الوسطى .

وحصوة المثانة شائعة جداً فى جميع الأعمار بما فيها الأطفال الرضع والتراخوما والجرب منتشران انتشاراً عظيماً .

ومعدل موت الأطفال مرتفع جداً وهو أعلى نسبة فى العالم إذ تقدر بنحو ٥٠٠ فى الألف لمن لا تزيد سنهم عن سنة . أما أسباب ارتفاع هذا المعدل فيرجع إلى الأمراض المعدية المعوية الناشئة عن نقص الوقاية الصحية وعن أساليب تغذية الرضع والأطفال .

والتعليم ليس أكثر حظاً من الصحة فهو أولا مقصور على الذكور دون الإناث ويقدر عدد المتعلمين بما لا يزيد عن ١٠٪ وتعريف المتعلم هنا هو من يعرف القراءة والكتابة على أى مستوى كان ، وكان عدد المدارس نحو ١٤ مدرسة . . . ! ! منها ست مخصصة للتعليم الابتدائى والباقى للمتوسط والثانوى ولا تدرس اللغات الأجنبية ولا العلوم .

أما الإنتاج الزراعى فقد تدهور تدهوراً لا مثيل له وانقطعت تماماً الصلة بين الماضى المجيد فى الزراعة والحاضر المرير ومع ما اتصف به المزارع اليمنى من جلد وصبر وقدرة على التحمل إلا أن الطريقة التى يزرع بها اليوم غارقة فى البدائية علاوة على أن أكثر أنواع الحاصلات ردىء الصفات وتفتك بها الآفات ولا يعرف المزارع اليمنى حتى اليوم ما هى الآفات وبالتالى لا يعرف أنها تتقى وتقاوم وتعالج . ولا يعرف أيضاً أن هناك آلات حديثة تستعمل فى الرى والحرث والعمليات

الزراعية الأخرى .

وبالمثل الإنتاج الحيوانى إنتاج تعترضه العديد من الأمراض والطفيليات ومن أهمها الحمى القلاعية وجدرى الضأن وتنتشر أنواع كثيرة من القراد والطفيليات المعدية والمعوية والديدان الكبدية هذا علاوة على الأمراض الوبائية التى تنتشر فى سرعة خاطفة وتنزل خسائر فادحة .

ومرض النجمة الذى يصيب الخيل فى جنوب أفريقيا متوطن باليمن وتنشأ عنه نفوق الخيل بنسبة أكبر من الحمير والبغال .

ويصاب الدجاج بمرض النيوكاسل وجدرى الطيور .

وأهم من كل هذا أنه توجد أمراض حيوانية من التى تعدى الإنسان مثل السل البقرى والإجهاض المعدى والدودة الشريطية .

وتتداول لحوم المدن فى الوقت الحاضر بطرق غير صحية فالمجازر ليس فيها ماء أرضها وحلة تجوس فيها أعداد كبيرة من الكلاب وتحوم فوقها الطيور الجارحة ويقف عليها الذباب بكثرة حتى يكاد يغطيها .

وصيد الأسماك عملية غير منتجة ولا مثمرة فقد ذكرنا أن عدد الصيادين يبلغ نحو ١٥٠٠ وأن جملة ما يصيدونه سنويًا نحو ٢٠٠٠ طن وهو قدر يمكن أن تصيده خمسة مراكب صيد تسير بالمحركات ويـ ـل على كل منها عدد من الصيادين

لا يتجاوز العشرة أى أن خمسين صياداً يمكنهم بالوسائل الحديثة أن ينتجوا مثلماً ينتج كل الصيادين باليمن .

وطرق المواصلات ووسائل النقل هى الأخرى غاية فى التخلف .فليست هناك طرق داخلية تقريباً اللهم إلا بعض الدروب التى لا تصلح إلا لسير الدواب ووسيلة النقل السائدة هى الحمير والبغال والجمال . وتتصل المدن الرئيسية بطرق للسيارات ، ولكنها طرق رديئة غير صالحة للاستعمال فى مواسم الأمطار . وقد أدخلت وسائل النقل الجوى حديثاً فقط .

والموانى قليلة مهملة لا يبذل أى جهد لتحسينها وقد دمر ميناء الحديدة بقنابل الإنجليز عام ١٩١٧ ولم يفكر أحد فى إصلاحه إلا عام ١٩٥٦ أى بعد نحو ٤٠ عاماً .

والتجارة ما زالت متأخرة بدائية وهى أضعف الحلقات فى سلسلة الاقتصاد القومى والتجار يمثلون نسبة ضئيلة من مجموع السكان .

ولم تتعد التجارة طور المقايضة كما كان يحدث فى عصور الجاهلية الأولى ، يحضر المزارعون الفائض من إنتاجهم إلى الأسواق ويبادلونه بما يحتاجونه من السلع الاستهلاكية مثل الأقمشة والأدوات المنزلية والبترول وبعض المواد الغذائية مثل السكر والشاى والأرز .

وطرق التسويق عديمة الكفاية بوجه عام فالتدرج والفرز والتعبئة غير معروفة . وقبل أن تصل السلع إلى المستهلك يحل بها العطب بدرجة كبيرة وتحتوى الحبوب وبعض السلع غير القابلة

للعطب على نسبة كبيرة من المواد الغريبة .

ولا توجد وحدات ثابتة للموازين والمكاييل بل تختلف من جهة إلى أخرى مما يزيد مشاكل التداول فى التسويق .

* * *

تلك هى الملامح الرئيسية للمجتمع اليمنى إلى قيام الثورة والتى من أجلها أجمع الكتاب وخبراء منظمات هيئة الأمم على وضع اليمن فى مؤخرة صفوف الأمم المتخلفة .

ترى ما الذى أوصل اليمن إلى هذا الحال . . . ؟

بعد الماضى المجيد والعز الفريد .

ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض من الجهل والبعد عن نور المعرفة .

وفاقة ومسغبة لا نظير لهما فى الوجود .

وأمراض وعلل وزعت نفسها على جميع السكان فلم يفلت أحد منها والسعيد حقاً من فاز بعلة أو علتين فحسب . .

وعزوف عن العمل والإنتاج .

وليست هذه الحالات من صفات اليمنى فى الماضى وليست فى وقتنا الحاضر من صفات اليمنى الذى يعيش خارج بلاده .

فإن هناك أكثر من مليون يمنى يعيشون خارج الحدود فى البلاد العربية وإنجلترا وأمريكا وأندونيسيا وغيرها وسلوكهم جميعاً فى تلك البلاد سلوك ممتاز منتج .

أمر عجيب . . . شعب له ماضٍ مشرف وحاضره مشرف

إذا كان خارج بلاده .

أما داخل البلاد فالحال غير الحال .

فما الذى أدى إلى هذا . . . لا بد أن هناك سبباً ؟

نعم هناك سبب . . . وهو مصيبة مزدوجة ابتلى بها شعب اليمن تلك هى . . . نظام الحكم السابق وشجرة القات ... . والبحث فى العامل الأول سياسى ولا شأن لهذا البحث بالسياسة إطلاقاً وإن كان العاملان مرتبطين ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً ويتفاعلان تفاعلا قوياً ، تبدو نتائجه مجسمة فى الوضع الذى آل إليه الحال فى اليمن إلى قيام الثورة .

فإذا أشير فى هذا البحث إلى بعض النواحى السياسية فهى إشارة عابرة فرضتها مناقشة الأسباب عساها تؤدى إلى علاج أو افتراض علاج .

أما شجرة القات التى صنعت ما عجز عنه الاستعمار فى كل بلاد العالم فإنها شجرة خبيثة يجب أن تجتث من جذورها . . . إنها شجرة ملعونة استطاعت أن تكون السبب فى انهيار شعب كامل بأسره .

وسنتحدث فى الفصول التالية عن هذه الشجرة . . . وصفها . . . وآثارها . . . .

٢

القات فى عالم النبات

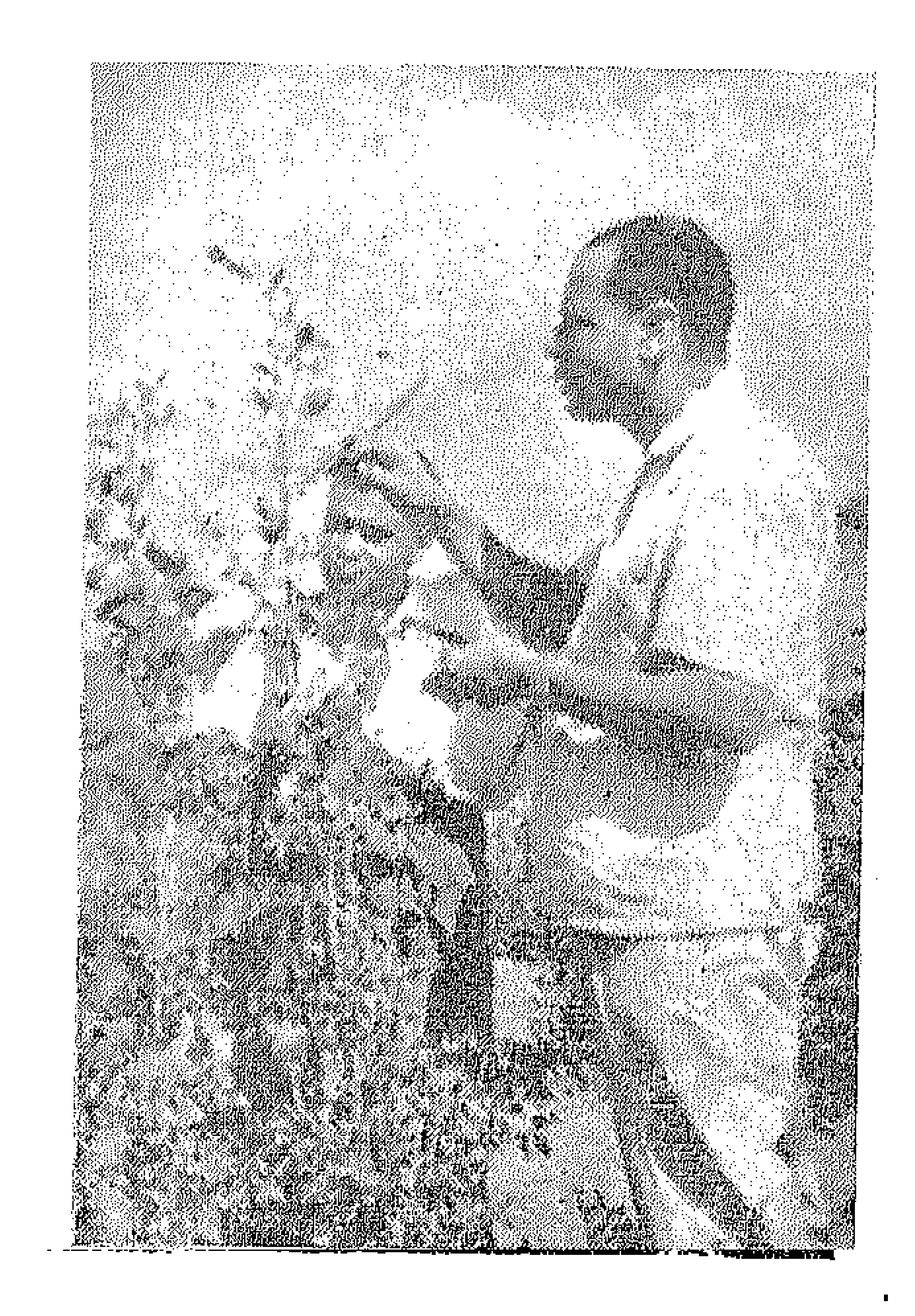
القات شجرة دائمة الخضرة اسمها العلمى Catha edulis Forsk تتبع العائلة النباتية Celastraceae . ضيقة الانتشار إذ يقتصر وجودها على شرق وأواسط إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية.

يبلغ ارتفاعها نحو ٢ ـ ٣ أمتار فى المناطق الجبلية العالية الجافة ويصل هذا الارتفاع إلى نحو ٦ أمتار على سفوح الجبال الحبشية الرطبة أما إذا صادفت ظروفاً مناسبة فى المناطق الاستوائية فإن ارتفاعها يصل إلى ٢٥ متراً ويوجد منها أربع شجرات بالجزيرة النباتية فى أسوان ولكن ارتفاعها يبلغ نحو ٢,٥ متر فقط وشجرة واحدة بحديقة الأورمان بالجيزة يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار .

ويبلغ محيط الجذع نحو ٦٠ سنتيمتراً وقشرة الساق ـ اللحاء ـ رقيقة ناعمة بنية اللون .

وقد سماها بعض الرحالة الأجانب شجرة شاى العرب ولكنها تختلف كثيراً عن شجرة الشاى .

الأوراق حديثة التكوين غضة محمرة اللون وعند ما تستكمل نموها يصبح لونها أخضر مصفراً . وهى متقابلة أهليجية رمحية



شجرة قات و يلاحظ أن الأفرع الطرفية تقطع أولا بأول لبيعها

قوامها جلدى لا طعم لها وتختلف أبعادها كثيراً وعادة يبلغ طولها نحو ١٠ سنتيمترات وعرضها نحو خمسة سم. الجزء الطرفى القاعدى أملس وبقية محيط الورقة ذو حافة منشارية والعرق الوسطى بارز من أسفل تميل جوانبه إلى الاحمرار والعروق الثانوية تتقابل قبل حافة الطرف . وبين العروق الثانوية توجد عروق أصغر تكون تعريقاً شبكياً .

ومن وجهة النظر التشريحية وصفها Perrot كما يلى :

طبقة البشرة ملساء ، النسيج الوسطى ذو وجهين وله طبقتان من النسيج العمادى–المحيطى– وخلايا برنشيمية إسفنجية ذو خلايا متشعبة ذات بلورات توأمية منفصلة وأحياناً تنتظم فى مجموعات عنقودية فى نفس الخلية .

الحزم الوعائية على شكل قوس مقفل ، يقفله شريطان علويان من اللحاء الملجنن . الأزهار صغيرة بيضاء أو مخضرة مرتبطة فى أشطاء إبطية عريضة نسبياً تتفتح من المركز إلى الخارج .

الكأس يحتوى على خمس سبلات مفصصة .

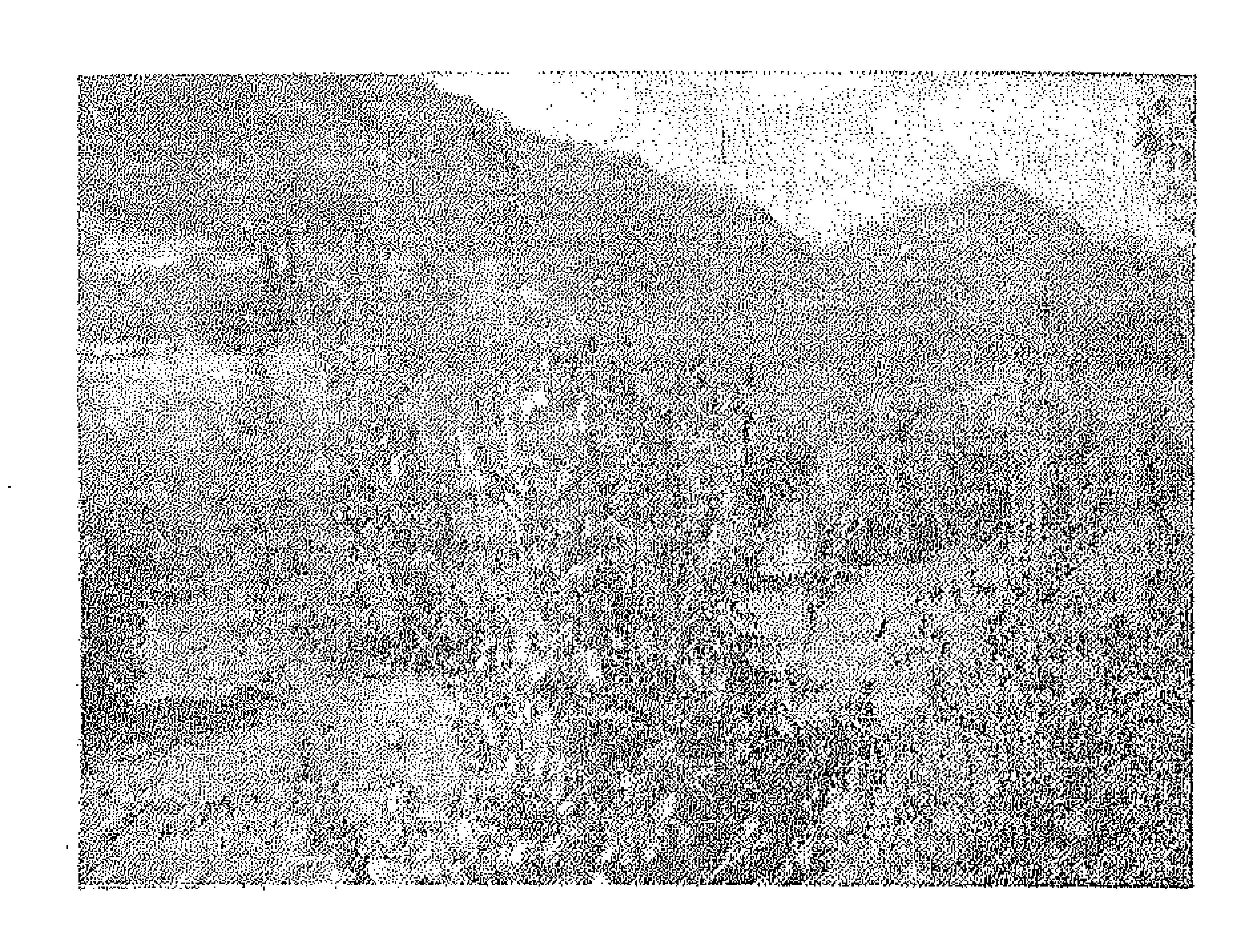
التويج يحتوى خمس بتلات .

الطلع يحتوى خمسة أسدية .

الثمرة كبسولة مستطيلة طولها نحو ثمانية مليمترات بنية غامقة ذات ثلاث مصاريع وكل مصراع يحتوى على ١ — ٣ بذور لونها بنى محمر . وطول البذرة حوالى ٣ مليمترات .

تاريخه وموطنه :

يحتمل أن يكون القات قد عرف واستعمل فى الجبال الحبشية ويبدو أنه كان مزروعاً من القدم مما يرجح أن الحبشة هى الموطن الأصلى لهذه الشجرة وإن كان ليس هناك دليل قاطع على أن تلك البلاد هى موطنه الأصلى .



مزرعة قات

والمعتقد أن القدماء كانوا لا يعرفون كثيراً عن القات وإن ذكر بعض المؤرخين أنه كان يستعمل لتنشيط الذهن وشحذ الذاكرة وإبعاد الهم والحزن عن النفس وذلك بحرق الأوراق واستنشاق دخانها .

وقيل إن الإسكندر الأكبر استعمل أوراق القات لعلاج جنوده من مرض تفشى بينهم .

وقد ربط بعض القدامى بين مفعول القات والحشيش والأفيون وظنوا أن تأثيرها كله واحد متشابه ولكن ذلك غير صحيح على الإطلاق .

وأول إشارة مدونة عن القات ذكرت فى مخطوط عربى

طبى محفوظ بدار الكتب الأهاية بباريس وجاء فيه أن الملك صبر الدين قرر زراعة القات فى مدينة مراد . ويقول Rochet إن القات أدخل اليمن عام ١٤٢٤ ميلادية .

ويذكر مرجع آخر أن القات زرع فى منطقة عدن فى القرن الرابع عشر وتكلم المؤرخ العربى « عبد القادر » عن وجود القات فى اليمن فى القرن السادس عشر .

ويظن أن زراعة القات فى اليمن سبقت زراعة البن

وفى وقتنا الحاضر ينمو القات بريًّا فى المناطق الجبلية الرطبة فى شرق وجنوب أفريقيا ويزرع أيضاً فى هذه المناطق .

ينمو القات تحت الظروف الطبيعية على ارتفاع يختلف من ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر وكقاعدة عامة ينمو فى مناطق الصنوبر . ويوجد القات فى المناطق التالية :

الجزيرة العربية :

يوجد فى اليمن وهى أهم مناطق زراعته فى العالم إذ ينتشر فى جميع المناطق الجبلية .

ويوجد فى شرق اليمن (حضرموت) فى المناطق المرتفعة أيضاً .

وفى السعودية ينمو فى جبال السراة بمنطقة جيزان وخاصة جبال فيفا وبنى مالك والريث .

الكونغو : منطقة البحيرات وخاصة بالقرب من بحيرة كيدو Kidu والبرت مارك وإقليم روانزورى وبحيرة موجانجا .

أرتيريا : المعلومات متناقضة فبعض الكتاب يثبت وجوده فى أرتيريا والبعض ينفى ذلك .

الحبشة : إقليم ألبا يرما واكسم وأورا وشيريه وشو .

كينيا : المنطقة الشمالية المحصورة بين جبل كينيا وتلال شيولو .

نياسالاند: منطقة ديدزا — جبل ملانجى— منطقة بلانتير .

أوغنده : كيجازى ، كراموجا ، بوجيشو وجبال أوبيسيان وألجا .

روديسيا الجنوبية : إقليم سالسبورى وأوميتالى .

تنجانيقا : سجل وجود القات فى جميع المناطق الجبلية على المرتفعات من ١٢٠٠ — ٢٥٠٠ متر .

اتحاد جنوب إفريقيا : منطقة كوينزتاون .

أصناف القات :

لا يعرف حتى الآن إلا نوع نباتى واحد يتبع الجنس Catha وهو النوع edulis ولكن المشاهد أن أشجار القات ذات أشكال عديدة ولذا فمن المحقق أن هناك عدة أصناف من القات ومن المرجح أنها تختلف فى صفاتها .

ولما كانت أكثر أشجار القات فى العالم منزرعة فى اليمن ولا تسنح الفرصة لعلماء النبات بارتياد اليمن ودراسة نباتاته دراسة مستوفاة لهذا تعتبر دراسة القات من الوجهة النباتية دراسة غير مستوفاة لم تستكمل بعد .

وقد أشار الأستاذ شفالييه A. Chevalier . أن A. Richard لاحظ فى الحبشة وجود نوع من القات عرفه باسم : Celastrus padinus Richard ويتميز بأن بتلات الزهرة أطول وذات حواف أعرض .

والأصل البرى Methyscophyllum glaucum Eckl & Zeyher هو نوع مختلف اختلافاً واضحاً عن القات فأوراقه خضراء مغبرة ضيقة ويسمى أيضاً Catha glauca Comb. .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه يوجد فى الفليبين نبات يتبع نفس العائلة النباتية التى يتبعها القات بتلات زهرته — أوراق

تويج الزهرة — سامة وكانت تستعمل فى صنع رؤوس الحراب المسممة .

زراعة القات :

يجود نمو القات فى المناطق المرتفعة بين ١٦٥٠ — ٢٥٠٠ متر ومنزرع فى منطقة هرر على ارتفاع ١٨٠٠ متر وتشاهد شجيراته مختلطة من شجيرات البن فى خطوط متبادلة ولا يروى صناعياً ويعتمد على مياه المطر .

أما فى اليمن فإن أجود أصناف القات هى التى تزرع فى المناطق الجبلية المرتفعة ولكن نظراً لارتفاع سعره هناك وكثرة الطلب عليه فإن الزراع فى مختلف المناطق يحاولون زراعته .

ويتكاثر بالعقلة غالباً وبالبذور نادراً .

تقطع الأفرع التى فى سمك الأصبع إلى قطع أو عقل طولها نحو نصف متر وتزرع فى مكانها المستديم وتروى صناعياً لمدة نحو ٤٠ يوماً ثم تترك لتعتمد على مياه المطر ويحرص الزراع على حماية الشجيرة وهى صغيرة فتحاط بأفرع وأغصان جافة أو يحاط حولها بجدار من طين وذلك لحمايتها من الماشية وخاصة الماعز .

ولا تصلح الشجرة لقطف الأوراق منها قبل ٣ — ٤ سنوات ومتوسط ارتفاع الشجرة فى الحبشة حوالى خمسة أمتار وتعمر نحو ٢٠ — ٢٥ سنة .

ولما كانت الأشجار تقلم سنويًّا وتقطع فروعها حديثة النمو ولذا فإنها لا ترتفع كثيراً عن خمسة أمتار ولو تركت دون الاعتداء عليها فإن ارتفاعها يصل إلى نحو عشرين متراً .



مزرعة أشجار قات

ولم تشاهد آفات زراعية هامة تصيب شجرة القات بينما تصاب أشجار البن المتزرعة بجوارها بعدة أمراض وحشرات قد تؤدى إلى موتها فتشاهد شجرات القات قوية نضرة فارعة وأشجار البن هزيلة ضعيفة مصفرة تفتك بها الحشرات والأمراض .

وحتى الجراد الذى لا يبقى ولا يذر يعاف أكل أوراق

القات ولا يقبل عليه إلا مضطراً إذا لم يجد غيره كى يقتات .

وتزرع الأشجار دون نظام أو دراية بل تزرع بتلك الطرق البدائية التى يزرع بها باقى الحاصلات فى اليمن أى بنفس الطرق التى كان يزرع بها الأجداد منذ آلاف السنين .

* * *

أسماء القات:

تختلف أسماء القات تبعاً للبلاد التى يزرع فيها فى إفريقيا والجزيرة العربية وتكثر الأسماء نظراً لأن بعضها يطلق على الشجرة والبعض الآخر يطلق على الأجزاء المستعملة والأسماء التى عرفها الأوربيون عن القات منقولة كلها عن الأسماء المحلية بالبلاد العربية .

فى الإنجليزية يسمى :

Arabian tea plant, Khat, Kat, Cafta

وبالفرنسية :

Catha, Célastre, Cathe comestible, Gat.

وبالألمانية : Katpflanze

وبالإيطالية : Arapistan Çayi

وباليونانية : Catha

وأشهر أسمائه العربية « القات » أو شاى العرب وقد أطلق هذا الاسم الأخير عليه الرحالة الأجانب مع أنها لا تشبه شجرة الشاى فى شىء ولكن ربما كانت التسمية راجعة إلى أنه فى بداية استعمال القات لم تكن تعرف الطريقة الحالية لاستعماله وهى طريقة المضغ المشهورة باسم طريقة « التخزين » بل كانت توضع الأوراق الجافة أو الخضراء فى الماء المغلى بالطريقة التى يحضر بها الشاى وهنا أطلق عليه اسم شاى العرب .

ويطلق عليه كثير من أسماء الكناية فى اليمن فى أشعارهم وأزجالهم التى يتفنون فيها بالقات ومفعوله .

والاسم العربى « قات » هو أشهر الأسماء المعروفة لهذه الشجرة فى العالم نظراً لأن أكثر انتشار زراعة هذه الشجرة هو فى بلد عربى وهو اليمن ولأن اليمن هم أكثر الناس استعمالا له فى الوقت الحاضر وفى الماضى .

وعن العرب نقل الأوربيون الاسم حسب الطريقة التى ينطق بها كل لغة فهو :

Catha, Khat, Kat, gat, Ciat, ... etc.

وفى الصومال يسمى قات أيضاً وإن كانت تنطق محرفة « تشات » .

والاسم الذى يلى القات فى الشهرة وسعة الاستعمال هو « ميرا » أو « ميراء » وينتشر هذا الاسم فى شرق وجنوب إفريقيا ويستعمل فى الأبحاث العلمية

ومن الأسماء الشائعة فى شرق إفريقيا :

جزالاند : يسمى متسوارى .

كينيا : قات ، ميرانجى ، ميرا ، ميراء ، ليس ، طمايات ، ميونجى ، ماونج .

نياسالاند : متسوارى ، مديمامادزى .

أوغنده : موستات

الحبشة : تج أو تدج .

وقد ذكر بعض المؤرخين قائمة بأسماء وتعاريف تميز الصفات المختلفة للقات ولكن أكثر هذه التعاريف لا تتفق مع بعضها البعض .

٣

التركيب الكيماوى والأقرباذينى

الدراسات عن القات لا تزال قليلة كما هو معروف وقد قام كثير من الباحثين الأوربيين بتحليل عينات من أوراق القات ولكن يؤخذ على هذه الدراسات أن العينات لم تكن من مصدر واحد لصعوبة الحصول عليها بصفة دورية منتظمة كما أن العينات كانت تصل إلى معامل التحاليل بعد مدة بسبب طول المسافة وبديهى أن تفقد بعض خواص الأوراق بمضى الوقت مما يجعل التحليل غير ممثل للحقيقة وهناك خلافات بين عينة تؤخذ من شجرة ارتفاعها متر واحد فقط وتنمو على ارتفاع ١٥٠٠ متر فى منطقة جبلية جافة وبين عينة أخرى مأخوذة من شجرة ارتفاعها ٦ أمتار مثلا نامية فى المنطقة الاستوائية وينتظر أيضاً وجود فرق بين عينة مأخوذة من الأطراف الغضة حديثة النمو والأوراق القديمة .

ومن الحقائق الكيميائية المعروفة أنه فى النباتات القلويدية يختلف التأثير كثيراً تبعاً لظروف البيئة وخاصة التربة والمناخ التى ينمو فيها النبات وكذلك تبعاً للطريقة التى يزرع بها النبات

ذا كان النبات يزرع وليس بريّاً ولذا تختلف المحتويات القلوية وقد تختفى أو تقل بعض التأثيرات والخواص وأكبر مثل لذلك نبات الأفيون إذ تختلف نسبة القلويدات الموجودة به كثيراً تبعاً للظروف السابق شرحها وبالتالى يختلف مفعول المادة وأثرها .

وأكبر برهان عملى على ذلك أن شجر القات نقل إلى كاليفورنيا وزرع فيها ونجحت زراعته تماماً وأجريت بحوث عديدة لمعرفة تأثير القات وذلك بمضغه بالطريقة الشائعة فى اليمن ولكن لم يظهر أى أثر أو مفعول للقات .

وأول دراسات كيماوية على القات كانت بمعرفة Fluckiger & Gerock ومن بعدهما Paul ثم Mosso . قام الأولان بعزل مادة قلويدية سمياها (القاتين Cathine) والأخير عزل مادة شبه قلوية وسماها سلاسترين : Celastrine

وفى الحقيقة أن هذه الدراسات كانت قليلة الأهمية لأن المواد المحضرة كانت غير نقية .

وجاءت المرحلة الثانية من البحوث الكيماوية على القات عام ١٩٠١ عندما قال Beitter أنه حضر عدة أملاح من القاتين Cathine وهى كبريتات القاتين ، هيدروكلوريد القاتين — هيدرو بروور القاتين — ساليسيلات القاتين .

ووصف القاتين بأنه مادة بلّورية — البلّورات أبرية — مرة المذاق — لا رائحة لها — تذوب فى الأثير والكحول

والكلوروفورم وأعطى الرمز الكيماوى لها كالآتى :

$C_{10}H_{18}NO_2$

ك١٠ يد١٨ ن ا٢

وفى عام ١٩١١ قام Chevalier بعمل دراسات كيماوية هامة على القات ونشر بحوثه فى مطبوع صدر فى ذلك التاريخ وأعتقد أنه يمكن استعمال القاتين فى علاج الإدمان على الأفيون ولكن يبدوأن هذا الاقتراح لم يستعمل أبداً .

وفى عام ١٩١٢ أصدرت مجلة Pharmaceutical Journal نشرة للدكتور R. Stockman فيها بحث هام أثبت فيه وجود ثلاث مواد قلويدية بالقات وهى : Cathine, Cathidine & Cathinine ولم يتمكن الباحث من الحصول إلا على أوراق جافة من أشجار القات لإجراء تجاربه وبحوثه عليها ونظراً للعقبات المعملية والصعوبات المترتبة على الخواص الطبيعية للمادة فإنه لم يحصل إلا على كميات ضئيلة ومتغيرة من هذه المواد .

وبالإضافة إلى القلويدات فإن الأوراق تحتوى على سكر وتانين Tannin وهى مادة قابضة ومقدار ضئيل من زيت طيار أصفر اللون طيب الرائحة حلو المذاق .

والقلويد الأول الذى تم عزله كان الكاتين Cathine على صورة كبريتات مركب على شكل بللورات بيضاء إبرية

الشكل مر المذاق سهل الذوبان فى الماء والكحول المخفف ولا يذوب فى الكحول النقى ويذوب أيضاً فى الأثير والكلوروفورم . . . الخ . والكاتدين Cathidine مادة بيضاء غير متبلورة على هيئة مسحوق غير قابلة للذوبان فى الماء وتذوب فى الأثير والكحول النقى والأسيتون . . . الخ .

وقد كرر كثير من الباحثين هذه الصفات فى أبحاث متعددة نشرت بعد ذلك ولم يزد الوصف عما سبق .

ونسبة وجود القلويدات الثلاث إلى بعضها البعض فى القات هى كالتالى وإن كان يجب أن تؤخذ هذه النسب بكثير من التحفظ :

٠,٢٧٪	كاتين	Cathine
٠,٣٢٪	كاتدين	Cathidine
٠,١٥٪	كاتنين	Cathinine

وحتى لو افترضنا وجود خطأ كبير فى نتائج ونسب التحليل السابق فإن هذه النسب لا تشجع على تحضير المواد سالفة الذكر بطريقة اقتصادية .

وفى عام ١٩٣٠ أعطى وولفز Wolfes رمز كيميائى للكاتين يختلف عن الرمز الذى أعطاه Beitter وهو ك$_{٩}$ يد$_{١٣}$ ن ا$_{٢}$ وأثبت أنه يشابه الأيفدرين (d-nor-iso-ephedrine)

ك$_{٦}$ يد ك$_{٥}$ يد ا يد . ك يد (ن يد$_{٢}$) ك يد$_{٣}$

والمادة هي إحدى القلويات الموجودة فى نبات Ephedra vulgaris الذى ينمو فى اليابان (نا — هونج) ومن توابع الأفدرين الشائع الاستعمال فى الطب .

وتبعاً لنظرية (Hesse) فإن المادتين الثانية والثالثة الكاتدين والكاتنين تشبه الأفدرين شبها قوياً .

ونستطيع أن نؤكد بصفة عامة أن الأبحاث الكيماوية على القات تعتبر حتى الآن قليلة ونادرة ولعل مرجع ذلك صعوبة الحصول على الأوراق الطازجة بصفة منتظمة ثم وجود القلويدات الثلاث السابق ذكرها بنسبة ضئيلةمما يجعل تحضيرها من الأوراق عملا غير اقتصادى ثم إن أضرار القات كمخدر محصور فى جزء ضيق من العالم وهو الركن الجنوبى الغربى للجزيزة العربية وبعض البلاد الإفريقية لهذا لم يكن هناك حافز أو مشجع للكيماويين أو الباحثين لدراسته الدراسة الوافية .

وفى عام ١٩٥٢ قامت الآنسة Mustard بنشر نتائج أبحاثها على النباتات الاستوائية لتقدير محتوياتها من حمض الأسكوربيك (ascorbic acid)

قامت بعمل خمسة تحاليل على القات مكونة من مخاليط من الأوراق والبراعم الزهرية وهذا المخلوط يمثل القات التجارى أى الحالة التى يباع بها لجمهور المستهلكين ووجدت أنه يحتوى على حمض الأسكوربيك بنسبة ١٣٥,٧ ملليجرام فى كل ١٠٠ جرام .

ومن المعلوم أن الذين يتعاطون القات لا يعلمون أنه يحتوى على نسبة من حامض الأسكوربيك وإذا اعتبر أن وجود حمض الأسكوربيك ميزة للقات فهى ميزة وحيده بجوار العديد من المضار المتسببة عن استعماله فمن الحقائق المعروفة أن مرض الأسقربوط مستوطن وشائع الانتشار فى جميع البلاد التى يستعمل فيها القات .

وأخيراً لفت Peters الأنظار إلى نقطة هامة جداً وهى :

« قامت المعامل الحكومية فى لندن عام ١٩٥٢ بإجراء سلسلة من التحليل على عينات من نباتات القات ثبت منها أنه لا يوجد فروق معنوية — ذات قيمة — بين نسبة القلويات التى تحتويها عينات الأوراق الغضة الطازجة وتلك التى تحتويها عينات الأوراق الجافة التى جففت وحفظت لمدة عشرة أيام .

ويستدل من هذا أنه لو كان هناك فرق بين خواص ومفعول الأوراق الطازجة والجافة كما يدلل ويعتقد أهالى البلاد التى تستعمل القات فإذاً لا بد أن يكون هناك عامل آخر يسبب هذا الفرق ليس هو على كل حال اختلاف نسبة القلويات ويرجح Peters أن السبب راجع إلى المادة الراتنجية الموجودة فى النبات

وكما أنه لا يمكن نسبة تعود شرب القهوة إلى وجود مادة الكافين (Caffeine) فيمكن القول إذن أن تعود مضغ القات ليس سببه القلويات الثلاث فى تركيبه ولا يكفى فى موضوع القات

أن يعزى مفعوله إلى الصفات الأقرباذينية للمواد القلوية الداخلة فى تركيبه فإن هذا ليس كافياً بعد ما ثبت أن نسبة هذه المواد واحدة فى كل من الأوراق الطازجة والجافة بينما أن الأوراق الطازجة هى التى لها التأثير الفعال الذى ينشده المدمن ولا يوجد هذا التأثير فى الأوراق الجافة . . . إذ فالموضوع لا يزال يحتاج إلى دراسة طبية وكيماوية وفسيولوجية تجرى محلياً فى البلاد التى ينمو فيها القات ويستعمله الأهالى بصفة مستمرة لمعرفة السر الذى يكمن فى الأوراق الغضة والذى لا يزال خافياً على العلم .

مفعول القات :

من الحقائق الهامة أنه ينظر إلى القات فى المناطق التى يستهلك بها على أنه شىء كالقهوة والشاى ولا يعترف أى شخص أن للقات صلة بالمخدرات .

وكانت حكومة اليمن السابقة تحلله وتشجع زراعته لأنه مورد من موارد الخزانة بما يفرض على زراعته وتجارته من ضرائب وقد تنبهت حكومات شرق وجنوب إفريقيا إلى أضراره فاتخذت الكثير من الوسائل للحد من استعماله وانتشاره .

ويزرع فى السعودية فى منطقة جيزان المجاورة لليمن وكان ينقل منها إلى باقى المملكة حيث يستعمله اليمنيون المقيمون هناك . ولكن منذ عام ١٩٥٤ اكتفى بحصر زراعته واستعماله فى بعض مناطق جبلية محدودة بمقاطعة جيزان وحرمت نقله إلى

خارج المنطقة .

والجزء المستعمل من شجرة القات هو الأوراق والأزهار والبراعم الطرفية كل منها على حدة أو مخلوط من اثنين منها أو من الثلاثة معاً . ويتوقف التأثير والفاعلية على درجة نضج هذا الجزء والمقدار المتعاطى .

والفروع الغضة حديثة التكوين والأوراق الصغيرة الحمراء هى المفضلة وهى أغلى ثمناً من الأوراق الخضراء والفروع القديمة ولذا يقال إن الأحمر أفضل وأقوى مفعولا من الأخضر .

كما تتوقف فاعلية القات على المكان المنزرع به وأحسن الأشجار وأعلاها قيمة وأسرعها مفعولا هى المنزرعة على سفوح جبال السراة باليمن ومنطقة جيزان بالسعودية . ويقال إن هناك أشجاراً لأوراقها مفعول سريع أسرع من مفعول الخمر يشعر متعاطيها بكثير من العظمة والترفع مع النشوة والبهجة والانسجام .

وأصناف القات ذات الشهرة تكون غالية الثمن بالطبع ولا يستطيع أن يداوم على استعمالها إلا ميسورو الحال الذين تساعدهم مواردهم على دفع أسعار مرتفعة كل يوم ، أما الفقراء والعمال ومحدودو الدخل فليس لديهم بد من شراء الأصناف الرخيصة مثل الأوراق الخضراء والفروع القديمة أو أى نوع يقابلهم فهو قات على كل حال .

تبين الدراسات التى أجريت أن مفعول القات مختلف تماماً على الفرد الذي يستعمله عرضاً لمرة أو بضع مرات والفرد الذى

تعوذ استعماله .

ففى الحالة الأولى يتناسب التأثير طردياً مع القدر الذى يتعاطاه الفرد ، بمعنى أنه إذا أخذ قدراً صغيراً كان التأثير ضعيفاً وإذا زاد القدر اشتد مفعول القات . . . وهكذا .

أما الشخص الذى تعود تعاطى القات ، والذى يجب أن يطلق عليه اسم مدمن القات ، فإن تأثير القات عليه يعتبر حالة معقدة تحتاج إلى إسهاب فى الشرح فعندما يتعاطى المدمن قدراً من القات لا يشعر بأى أثر مما سبق أن شعر به عند استعمال القات فى البداية ولذا فهو مضطر إلى زيادة الكمية تدريجياً إلى أن يحس بمفعول المادة عليه ويستمتع بالنشوة التى يألفها عقب تعاطى القات . ومعنى هذا أن المدمن لكى يستمتع بمفعول القات مضطر إلى استعمال كميات كبيرة نسبياً وحينئذ يقع المدمن تحت سلسلة من التغييرات أو التأثيرات الفسيولوجية التى تعتبر نواتج مترتبة على استعمال تلك الكميات الكبيرة من القات .

فأول شيء تضعف شهيته ويعزف عن الطعام لأنه يشعر شعوراً كاذباً بالشبع وبذا تقل كمية الطعام التى يتناولها تدريجياً ويصبح جسمه هزيلا ضعيفاً قليل المقاوة للأمراض ، ويقع فريسة لأمراض سوء التغذية المعروفة التى ستذكر تفصيلا فيما بعد كما يصاب بالإمساك والصداع والخمول وقلة النوم .

ونتيجة لهذه التأثيرات الفسيولوجية وخاصة قلة الأكل والنوم

يقع المدمن فريسة لأمراض عديدة فهو يفقد موهبة الإدراك والتفكير إذ يصبح تفكيره سطحياً بسيطاً لا يعنى بمتابعة مجريات لأمور والأحداث ولا يبذل أى محاولة للبحث أو حل أى مشكلة تعرض عليه أو تعترض سبيله . يفقد الإرادة الشخصية والقدرة والعزيمة بل تضعف قواه الجنسية أو يفقدها وقد كانت من أهم الدوافع لتعاطى القات وترتب على هذا مشاكل اجتماعية متراكمة معقدة أصبح من العسير حلها وفى مقدمتها عدم اهتمام مدمن القات بنفسه أو أفراد أسرته أو مجتمعه الذى ينتمى إليه ويعيش فى وسطه ولو استمرت موارده تسمح له بالحصول على القات فإنه يصبح حطام إنسان لا نفع منه ولا قدرة له على العمل . . . لا يأكل ولا ينام ولا يعمل . . . يشكو الأمراض بالجملة .

وأما إذا لم تسمح له موارده بالحصول على المال الكافى لشراء القات فإنه يضطر اضطراراً إلى ارتكاب الرذيلة أو الجريمة فإما أن يتسول أو يسرق .

ولم تجر حتى الآن دراسات علمية مستوفاة على تأثير القات على الإنسان منذ أول تعاطيه إلى أن يصبح مدمناً مثل تلك الدراسات التى أجريت بما فيه الكفاية على الخمر والأفيون والمورفين وباقى المخدرات ولكن نصيب القات من الدراسة العلمية قليل جداً ولا تعدو هذه الدراسات المشاهدات التى سجلها الزائرون والأجانب أو الرحالة الذين ارتادوا مناطق القات

سواء فى إفريقيا أو الجزيرة العربية .

ولم يدرس حتى تأثير هذا المخدر على من يتعاطاه مرة أو مرات قليلة دون أن يصل إلى مرتبة الإدمان . وإن كان البعض من الأطباء والباحثين قد تعاطوه بقصد تسجيل ووصف مفعوله عليه ولكن مثل هذه الحالات قليلة ومع الأسف كلها متناقضة متضاربة ولكن بصفة عامة يستخلص من أقوال هؤلاء الأجانب الذين جربوه أن هناك نوعاً من الشعور بالعظمة والانطلاق والحرية ويعتقد الشخص أنه لا يقيده أى قيد فى هذه الدنيا من قيود النظم الحكومية أو الدينية أو التقاليد والعادات وأنه سيد نفسه لا سلطان لأحد فى هذه الدنيا عليه فهو السيد المبجل الوقور المحترم الذى لا يسيطر عليه أحد ولا تقيده أى قيود مهما كان نوعها أو شكلها ولا تضايقه أى هموم أو متاعب فهو سيد الدنيا وهو قاعد على أريكته لا يستطيع التحرك وهو الحر المنطلق فى أجواز الفضاء وهو أسير الحقيقة عاجز عن أى مجهود وهو السعيد الهانىء والأمراض تعبث بجسمه فساداً والفقر يحيق به هو وزوجته وأولاده وربما كانوا لا يجدون قوت يومهم والديون ترهق كاهلهم ... يتلفت حوله فى مكانه من الدار فيرى صحن الدار الذى تنبت به بعض نباتات من الريحان والفل فيظنها جنات الخلد ويحسب أن الأريكة الخشبية التى يجلس عليها قد فرشت تحته بالدمقس والحرير والديباج فإذا شرب من قلة الماء التى بجواره وما أكثر ما يشرب منها ظن

أنه يشرب الرحيق المختوم من كوثر جنة حاو المذق عذب روى حلقه الظامىء . . . وهيهات أن تروى حلقه الذى جففه ازدراد القات .

حتى الزمن لا يعترف بحدوده وقيوده فلا أمس من عمر الزمان ولا غد لقد حسب أنه انطلق حراً فوق كل مكان وبعد كل زمان .

وفى بداية النشوة أى بداية مفعول القات يشعر برغبة فى الكلام والضحك دون سبب مع القهقهة حينما تفاجئه بين الحين والحين وخزة فى عضو من جسده به علة كأن يفاجئه مغص أو ألم من أى نوع فما أكثر ما يحوى جسده من أمراض ذات أوجاع وآلام . . . ما أسعده مع نفسه وما أشقاه فى دنيا الواقع . . . . ! !

ويمكن تقسيم مفعول القات إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : تنبيه للإدراك والحس مع شعور بالسعادة والنشوة والانسجام .

المرحلة الثانية : يحدث تخدير للإدراك والقوى العقلية .

المرحلة الثالثة : خمود القوة العقلية تماماً مع فقدان القدرة على الانتباه وضعف الذاكرة .

وأول من قاموا بإجراء تجارب على القات الاستاذ Leloup حوالى عام ١٨٩٠ ووجد أنه يهيج الجهاز العصبى ويساعد على

السهر ويسبب الأرق ويزيد فى قوة العضلات .

وقد أجرى هذه التجارب على نفسه .

وفى عام ١٩١١ أجرى J. Chevalier تجارب على الحيوانات باستعمال القاتين Cathine الذى عزله كيماوياً وقد وجد أن الجرع الصغيرة تعمل على زيادة انتباه الحركات الإرادية ولكن بدون حدوث رد فعل مهيج .

أعطى ٣ ملليجرام واعتبرها جرعة خفيفة .

و ٦ — ١٠ ملّيجرام واعتبرها جرعة مميتة .

وفى المرحلة الأولى من ظهور تأثير مفعول القاتين المنبه على الحيوان أخذ يقفز ثم ظهرت إفرازات رغوية حول الفم ثم هدأ ورقد وظهرت عليه أعراض الشلل وإن بقيت الحساسية ولكن الحركة الآلية ورد الفعل المهيج اختفت تدريجياً . وأبطأت ضربات القلب ثم توقفت منقبضة . . . وكانت هذه الظواهر أكثر وضوحاً على الفيران والأرانب .

وعند حقن الحيوانات فى الوريد بمادة الكاتين بنسبة ٣ — ٤ سنتيجرام للكيلو ماتت بعد ٣ — ٤ ساعات وبتشريحها وجد تصلب فى العضلات .

أما الجرع التى كانت أقل من ذلك فقد سببت تهيجاً نتج عنها ظهور علامات تهيج مع اتساع حدقة العين وسرعة التنفس .

أما الكلاب فهى أكثر مقاومة فعندما حقنت بمقدار

٥ ــ ٦ سنتيجرام للكيلو أحدثت تشنج .
وقد حضر دكتور (Martindale) تجارياً ثلاث مركبات

(١) كاتا لبن الكاكاو Catha-cocoa milk
(٢) كاتا ــ جليسروفوسفات الكاكاو Catha cocoa glycero phosphate وهو مقوى للأعصاب ومنبه .
(٣) Phenolphtalein with Catha وهو مستحضر فوار مقوى وملين خفيف على شكل أقراص .

وقال إنه حصل على أوراق القات من الجزيرة العربية ولكن وجد صعوبات للحصول عليها فيما بعد وكان الطلب على هذه المستحضرات محدوداً وصدر كميات منها إلى الهند وخلال مدة تبلغ أكثر من عشر سنوات كان ينتج ويبيع مستحضرات القاتين سالفة الذكر لم تصل إليه أى شكوى ولم يسمع بوجود أثر ضار لهذه الأدوية .

القات مخدر :

التعريف الطبي لكلمة مخدر هو المادة أو العنصر الذى يمنع الإحساس بالألم .
ولذا أطلقت كلمة « مخدر » على كل مادة تستعمل فى العمليات الجراحية فى الطب مثل البنج والكلوروفورم والأثير وغيرها كى تحول دون شعور المريض بالآلام الموضعية الناتجة

عن إجراء الجراحة .

ويستعمل أيضاً فى غير الجراحة لوقف بعض الآلام الشديدة وقفاً مؤقتاً إلى حين .

ومن هذا التعريف الخاص استعمل تعريف شامل لكلمة مخدر يطلق على العنصر أو المادة التى تزيل الألم من أى نوع سواء كان عضوياً أو نفسياً فالمعروف أن الحشيش والخمر لا تحدث تخديراً موضعياً لبعض أجزاء الجسم ولكنها تحدث تخديراً جزئياً للأعصاب ينتج عنها عدم الشعور بالآلام النفسية فينسى الشخص آلامه ومتاعبه وأحزانه طالما كان واقعاً تحت تأثير المخدر .

وقد اختلفت الآراء حيناً من الدهر حول القات وهل هو مخدر أو غير مخدر ومرجع هذا الاختلاف هو قلة الأبحاث العلمية التى أجريت عليه . ونظراً لأن القات يبدأ مفعوله بالتنبيه لهذا يتمسك المحبون له بأنه غير مخدر متناسين بقية مفعوله وما يحدث بعد فترة الانتباه من آثار هى صورة طبق الأصل لمفعول كل المخدرات .

وقد ذكرنا فى الفصل السابق أن مفعول القات يتم على ثلاث مراحل : الأولى مرحلة الانتباه والشعور بالسعادة والنشوة . والمرحلة التالية حدوث تخدير للإدراك والقوى العقلية والمرحلة الأخيرة خمود القوى العقلية وفقدان القدرة على الانتباه وضعف الذاكرة .

والمرحلة الأخيرة هي مرحلة تخدير مثالية لا شك فيها .

كما ذكرنا التجارب التي أجراها شفاليية عام ١٩١١ على الفيران والأرانب والكلاب لمعرفة مفعول مادة القاتين ونتائج هذه التجارب تدل بوضوح على أثر المادة ومفعولها المخدر .

وقد أشار كل الرحالة والكتاب والبعثات التي زارت وأتيحت لها الفرصة لمشاهدة البلاد التي ينمو فيها القات ويستعمله أهلها إلى الآثار المخدرة البغيضة التي تنتج عن استعمال هذا النبات .

ثم تنبهت حكومات بلاد أفريقيا التي ينمو فيها القات إلى ضرره فاتخذت الوسائل الكفيلة بالحد من أضراره وخاصة الوسائل التشريعية الخاصة بتحريمه .

ولما تكونت هيئة الأمم تنبهت منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة إلى آثار القات المخدرة فنادت وطالبت الحكومات التي ينمو فيها إلى وجوب اتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع زراعته وتعاطيه .

طرق تعاطي القات :

تختلف طرق استعمال القات تبعاً لعوامل وظروف متعددة منها الإقليم . . . هل هو منتج للقات أو مستورد ، والطريقة التي يحصل بها المدمن على القات هل يحصل عليه طازجاً أو جافاً . . . والثمن الذي يدفعه والغرض الذي من أجله يتعاطى القات .

منذ خمسين عاماً كانت طريقة استعمال القات واحدة في كل الأقاليم التي تتعاطاه ففي ذلك كانت المواصلات تعتمد أساساً على قوافل الجمال ولذا لم يكن ميسوراً للمناطق المستوردة أن تحصل عليه إلا بعد أن يجف . . . ولذا — كقاعدة عامة — كان كل متعاطى القات الذين لا يزرعونه يحصلون عليه جافاً . أما بعد أن تقدمت وسائل النقل فقد أصبح من أول مهام الطائرات في بلد كاليمن هو نقل القات أولا وقبل كل شيء كما ينقل بالسيارات والقطارات في بلدان شرق أفريقيا وبذا أصبح من السهل الحصول على أوراق القات الطازجة في البلاد والمناطق التي لا تنتجه .

ونجد أن كل الرحالة والكتاب الذين ارتادوا مناطق القات في القرن التاسع عشر كانوا يصفون طريقة تحضيره بأنها بواسطة نقع الأوراق الجافة في الماء ثم شرب هذا المنقوع ولعل هذه الطريقة هي التي كانت السبب في تسميته باسم « شاى العرب » أما بعد أن تقدمت المواصلات وأصبح في مقدور كل مدمن أن يحصل على الأوراق غضة طرية فإن الطريقة الشائعة الآن هي مضغ أوراق القات وهي الطريقة الشائعة في عدن واليمن وجيزان بالسعودية وتسمى التخزين .

وأهم طرق استعمال القات هي :

الطريقة الأولى : المضغ (التخزين) .

وهى عملية مضغ واستحلاب ويستعمل فى هذه الطريقة الأوراق الطازجة فقط أى التى لم يمض على قطفها أكثر من أربعة أو خمسة أيام والتى لا تزال تحتفظ برطوبتها ... ولكى تحتفظ برطوبتها تحفظ بين أوراق نباتية أخرى ترطب بالماء بين الحين والحين لتظل أوراق القات طرية غضة .

وأفضل الأوراق هى الصغيرة أى حديثة التكوين المأخوذة من أطراف الأغصان والتى يكون لونها مشوباً بحمرة . كما يعرف ويشتهر بين المستهلكين أصناف خاصة يميزونها ويعرفون مناطق إنتاجها ويفضلونها على غيرها . مثل هذه الأوراق تكون سهلة المضغ والاستحلاب .

ويقول (Peters) إن مثل هذه الأوراق لها اسم خاص فى اللغة الأمهرية بالحبشة وهو كودا (Koda) وفى الصومال تسمى هاجافا (Hagafa) .

وتسمى ماحانى فى اليمن وعدن وحضرموت.

وهكذا نجد أنه تبعاً لحجم الأوراق ولونها وكونها طازجة يتوقف سعر القات ومدى إقبال المستهلكين من أهل الخبرة عليه .

والمستهلك الذى تعود استعمال الأوراق الغضة الطرية جيدة النوع لا يجد فى نفسه الشهية أو الإقبال على الأوراق الجافة أو الرديئة مثله فى ذلك مثل مدمن تدخين الطباق الذى يتعود صنفاً ممتازاً فإنه لا يقبل على الأصناف الرديئة ولا يستسيغها

كما لا يستسيغ مضغ الطباق . ولذا نجد أن المدمن إذا لم يجد الصنف الذى تعوده فإنه يفضل أن يعود من السوق خالى الوفاض بدلا من أن يشترى أنواعاً من الورق لم يتعود استعمالها .

ولمضغ القات تؤخذ بضع أوراق وتلف باليد على هيئة كرة وتوضع فى الفم وتظل فى شدقه حتى يستحلب كل عصيرها ويستعين بشرب الماء وهو فى سبيل ذلك يتجرع كميات كبيرة من الماء وتستغرق هذه العملية من ١٠ — ١٥ دقيقة ثم يبتلع بقايا الأوراق التى فى شدقه . وخلال التخزين لا مانع من شرب السجائر .

والأوراق الغضة تساعد على إفراز اللعاب بكثرة ويبدو أن اللعاب يذيب المواد القلويدية والمواد الأخرى الفعالة التى تحتويها أوراق القات .

ولا ينشط إفراز اللعاب إذا كانت الأوراق جافة .

الطريقة الثانية :

تستعمل هذه الطريقة للأوراق الكبيرة والجافة التى لا تصلح للمضغ أو للأوراق والبراعم الصغيرة التى جفت بسبب طول السفر .

وفى هذه الحالة تجفف الأوراق فى الشمس ثم تطحن فى هاون حتى تصبح ناعمة . يوضع المسحوق فى ماء مغلى ويضاف له سكر وتوابل حتى يصبح لها قوام العجينة وتقطع هذه العجينة

إلى قطع صغيرة كروية الشكل تمضغ أو تخزن بدلا من القات الطازج وبالمثل تستحلب بطريقة القات الطازج ثم تبلع بعد ذلك . وخلال الاستحلاب تشرب كميات كبيرة من الماء .

الطريقة الثالثة :

في بعض البلاد التي لا ينتج فيها القات ويحصل المستهلكون عليه جافاً كما يحدث لليمنيين المقيمين في مختلف بلاد ومدن الجزيرة العربية التي لا ينمو فيها القات وفي بعض مدن جنوب إفريقيا يحضر القات بطريقة تحضير الشاي تماماً ولكن هذه الطريقة ليست شائعة ولا منتشرة الاستعمال لقلة مفعولها .

ومن الأشياء الشائعة لدى اليمنيين والإفريقيين أن تضاف أوراق القات إلى الشاي ويقولون إنه يحسن طعم الشاي ويزيد في مفعوله المنبه .

ومما يجب الإشارة إليه أن استعمال القات بهذه الطريقة تفقد أحد القلويدات وهو الكاتدين (Cathidine) لأنه غير قابل للذوبان في الماء وفي مثل — طريقة الشاي فإن الفضلات ترمى وبذا لا يبتلع المستهلك الكاتدين .

الطريقة الرابعة :

في بعض بلاد الجزيرة العربية يدخن القات كالطباق تماماً أو الحشيش أي يصنع سجاير أو يدخن في المداعة

والأجزاء التى تستعمل لهذا الغرض هى البراعم الزهرية والأوراق الصغيرة إذ تفتت وتلف سجائر .

* * *

وفى البلاد التى حرمت حكوماتها استعمال القات أصبح استعماله سراً وخفية وبعيداً عن الرقباء والعيون ولهذا يستعمله المدمن وحده .

ويختلف الوضع كثيراً فى البلاد التى لا يحرم فيها القات إذ يتم تعاطى القات جماعة فى العادة فى الأماكن العامة التى تعود الناس أن يمضوا فيها أوقاتهم أو فى المنازل الخاصة . وقد يدعى الإنسان إلى « تناول القات » كما يدعى فى البلاد الأخرى إلى « تناول القهوة » أو « تناول الشاى » .

وهناك فرق واضح بين الحالات التى يستعمل فيها القات عرضاً وبين الإدمان عليه .

ولما كان الوضع فى اليمن يختلف عن كل بلاد العالم لذا كانت طريقة تعاطى القات طريقة مثيرة تستحق الوصف التفصيلى . . .

طريقة تعاطى القات باليمن :

تقطف أوراق القات مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً وترسل إلى الأسواق وتعتبر طازجة إذا لم يكن قد مضى على قطفها أكثر من أربعة أيام فإذا زادت المدة عن ذلك يعتبر جافاً ويرخص

السعر كثيراً نظراً لأن فاعليته تضعف .

والطريقة التجارية التي ينقل ويوزع بها القات هي أن يربط في حزم صغيرة وتبلغ الحزمة نحو ٤٠ عوداً طول كل منها نحو أربعين سنتيمتراً وتلف في أوراق نباتات أخرى غضة مثل عيدان البرسيم أو أوراق الذرة والموز لتحفظ رطوبته فيبقى طرياً طازجاً . . . ثم ينقل إلى الأسواق على الدواب وأصبح الآن ينقل بالطائرة . ويبلغ ثمنه في المناطق غير المنتجة له مثل المناطق الساحلية والحديدة ثلاثة أضعاف ثمنه في المناطق الجبلية التي ينمو فيها ولهذا أثره الكبير على الكميات المستهلكة إذ يسبب ارتفاع السعر قلة في الكميات التي يستهلكها الفرد .

وجميع أفراد الشعب . . . فوق سن السابعة — كانوا يتعاطون القات . . . الرجال والنساء . . . الحاكم والمحكوم . . . رجال الدين وأهل الفكر لا يستثنى منهم أحد ولا يعزف عنه فرد واحد هو خبز كل يوم لكل فرد .

ولتعاطي القات طريقة خاصة ونظام مرسوم ووقت معلوم في كل يوم بعد الظهور قبل أن يبدأ الاجتماع يذهب كل فرد إلى نزهة قصيرة فإما أن يتريض سيراً على الأقدام أو على ظهر دابة ، وفي الأيام الباردة يأخذ حماماً ساخناً لهذا الغرض ثم يجتمع شمل الصحاب والخلان في منزل أحدهم وفي يد كل منهم كمية من أوراق القات تكفي استعماله الشخصي ، ويتم

الاجتماع فى غرفة مقفلة إذا كان الجو بارداً تطل على الدار أو على حديقة أو حوض ماء ، وفى الصيف فى مكان ظليل أمام المنزل ، ويضع كل واحد أوراق القات فى فمه يمضغها مضغاً هيناً مرة أو مرتين ثم يلوكها فى شدقيه حتى تصبح كالكرة فى حجم الجوزة ثم يتركها فى أحد جانبى الفم ساكنة دون حركة . . . ثم يستحلبها تدريجياً وببطء شديد ، ونظراً لأنها قلوية الطعم قابضة فهو مضطر إلى شرب كميات متتالية من الماء على جرعات صغيرة ، ولذا توضع أوانى الماء البارد بجوار الآرائك لتمتد إليها الأيدى بين الحين والحين وتسمى هذه العملية « التخزين » ويشربون القشر وهو منقوع قشر البن وهو شراب طيب ممتاز ويدخنون نرجيله طويلة العنق لها مستودع نحاسى وذات مبسم واحد يتداوله جميع الجالسين وتسمى « المداعة » .

والدافع إلى استعمال القات عاملان الأول الاعتقاد بأنه منشط للناحية الجنسية وأما الثانى فهو الحالة التى كانت عليها اليمن ، فالحياة كانت هناك حلم بل وهم يتخلله كابوس ثقيل يجثم على الصدور وأوهام ورؤى وخيالات تختلف صورها ولكنها تهدف إلى والفكاك والتخلص مما هم فيه فإذا فكر اليمنى فيما هو فيه دبر كيف يكون الخلاص فإذا به لا يجد غير القات طريقاً ومنقذاً وملاذاً وأنيساً فى تلك الظلمات التى يلاحق بعضها بعضاً تتصل ولا تكاد تنقطع ومع توالى الأيام تحول القات

من وسيلة إلى هدف وغاية ولا شيء فى الدنيا سواه ، كان وسيلة إلى طلب المزيد من متعة جنسية وإلى نسيان مأساة الحكم وتحول رويداً رويداً دون شعور أو قصد إلى هدف يسعى إليه ولو جاع متعاطى القات أو تعرى هو وزوجته وأبناؤه ، ويحرص عليه ولو تعطل كل عمل منتج له حتى لو كان هذا العمل لنفسه أو لوطنه أو لدينه يتقاعس عن حرفته ويفر منها بعد ظهيرة كل يوم وهيهات أن يستمع لأى داع أو لأى مطلب من مطالب الأسرة أو المجتمع أو الوطن ، وحتى مطالب الرحمن فإنهم عنها متباطئون فإن قاموا للصلاة قاموا كسالى وهم متراخون ، قطع القات الصلة بينهم وبين أى عمل منتج مثمر بل قطع الصلة بينهم وبين الروحانيات الحبيبة إلى نفوسهم فقد أصبح لمتعاطى القات منطقه الخاص الذى يرفض منطق الدين والمجتمع والحضارة ولهذا يخطئ فهم الدين والمجتمع والحضارة .

إنه يكره دنيا الواقع ويحب الخيال ويعشق الأحلام . . . ويستعذب الأوهام ، يفر من قيوده وحاضره وسجنه إلى فضاء منطلق حر يصنعه ويكيفه بخياله حسب مشيئته وهواه ، إنه يصنع سراباً يحسبه وحده ماء .

موضع القات بين المخدرات :

وضع بعض البحاث القات ضمن مجموعة الحشيش والأفيون والواقع أن القات يختلف عن هذه المجموعة فى طريقة تخديره

وفى آثاره المترتبة على الإدمان وقد شرحنا طريقة تأثيره وطريقة تعاطيه ولكى نعرف موضعه بين المخدرات الرئيسية المنتشرة فى العالم نستعرض فى إيجاز طبيعية كل من الخمر والحشيش والأفيون .

الخمر :

عند تعاطى الخمر لأول مرة يشعر متعاطيها بغثيان وتقزز فإذا كرر الشراب شحب لونه ونضح جبينه بالعرق وتثاقل الجفون مع سرعة الرمش وقد يحدث القىء .

وبعد التعود يختلف السلوك باختلاف الأفراد فمنهم من يكثر كلامه ومنهم من يزداد مرحاً وتهريجاً . والبعض ينطوى على نفسه ويميل إلى العزلة والوحدة . . . والبعض يتوهم شجاعة مكتسبة فيصبح سريع التهيج محباً للشجار عربيداً . . . وآخرون يشعرون بتبكيت الضمير وقد تصيبهم نوبة بكاء .

ويحتوى دم الإنسان الطبيعى على ۰٫۲٥ إلى ۰٫۰٦ جرام كحول فى كل لتر دم وبعد تعاطى الكحول تزداد الكمية فى الدم تدريجياً إلى ١ ــ ٣ جرام لكل لتر دم وعند ما يصير تركيز الكحول فى الدم ٢ فى الألف يحدث اضطراب وخلل فى التوازن وعند ما يصل إلى ٣ ــ ٤ فى الألف يحدث انهيار وإذا وصل التركيز ٧ ــ ٨ فى الألف فإنه يصبح مميتاً .

ويؤثر الكحول على عضلات الإنسان وعلى الدورة الدموية

والتنفس والتبول فتزيد حركات العضلات عند تناول كمية قليلة من الكحول وفى الإنسان الطبيعى المستريح إذا زادت الكمية يحدث شلل مؤقت لحركات العضلات .

وقد أثبتت التجارب أيضاً أنه عند تناول الخمور فى حالات الانهيار الجثمانى تزيد من النشاط ولكن لمدة قصيرة .

وكمية قليلة من الخمر تزيد ضغط الدم قليلا وتدوم هذه الحالة فترة طويلة ويرجع ذلك إلى انقباض الأوعية الدموية للأحشاء وفى نفس الوقت يحدث اتساع فى الأوعية التى تحت الجلد والشعيرات الدموية الموجودة فى المخ ويزيد النبض زيادة محسوسة .

ويسرع التنفس عند تناول ١٠ — ٣٠ جرام كحول ويحدث ذلك بسبب زيادة وصول الدم إلى المراكز التنفسية .

ويكثر البول عند تناول كمية كبيرة من الخمور وذلك بنسبة أكبر مما لو أعطى بدل الخمر ماء للشرب ولا يعرف سبب ذلك بالضبط حتى الآن .

السكر :

هو حالة تخدير أو شلل جزئى للأعصاب والكحول هو العامل الفعال الذى يقرر درجة الركود العصبى إذ يتسرب الكحول إلى الدم وتتوقف درجة السكر على نسبة الكحول فى الدم فإذا كانت النسبة قليلة يفقد الشخص القدرة على السيطرة

على حركات العضلات مع ضعف القوة البصرية فإذا زادت النسبة حدث له التباس عقلى وعدم تمييز للجهات وترنح فى المشى ومضغ الكلام، وهذه الدرجة هى التى تصف صاحبها بأنه ثمل . وفى الدرجة التالية عند ما ترتفع النسبة عن ذلك يحدث له ذهول وخبل وركود مخى وسبات ثم إغماء فإذا حدث إفراط فوق ذلك قد يحدث تحطيم فى الأعصاب وشلل دائم لا يرجى البرء منه . . . ثم الموت .

التعود على الكحول :

يرجع إلى أن الكحول يؤثر على المركز العصبى الموجود فى المخ .

علاج مدمن الخمر :

يعالج بدواء يسمى تجاريًّا أنتابوس وهذا الاسم لاتينى الأصل . . . أنتى معناها ضد وبوس معناها سوء استعمال .

وقد حضرت هذه المادة عام ١٨٨١ ورجع إليها عام ١٩٢٠ لاستعمالها فى الصناعة لتطرية الكاوتشوك ومنعه من التشقق .

والجرعة التى تعطى للمدمن ١,ــ ١,٥ جرام فى اليوم الأول ثم ٠,٢٥ جرام يوميًّا ويتم العلاج تحت إشراف الطبيب .

* * *

الأفيون :

يستخرج الأفيون من نبات الخشخاش (أبو النوم) ويعزى مفعول الأفيون إلى عدد كبير من الجواهر الفعالة فيه تسمى قلويدات الأفيون ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين هما :

(١) القلويدات المنومة أو المخدرة وتشمل :

المورفين ويوجد بنسبة ١٠ ٪
الكلودايين ويوجد بنسبة ٠,٥ ٪
المارسين ويوجد بنسبة ٠,٢ ٪

(٢) القلويدات المسببة للتشنجات وأهمها :

الناركوتين ويوجد بنسبة ٦ ٪
البابافيرين ويوجد بنسبة ٢ ٪
التبايين ويوجد بنسبة ٠,٣ ٪

مما سبق يضح أن أعلى نسبة من الجواهر الفعالة فى الأفيون هى نسبة المورفين ولذلك فإن التأثير المخدر للأفيون مرجعه إلى المورفين .

ويعتبر المورفين من أقوى المخدرات لأعصاب الإنسان وذلك لأنه يؤثر على منطقة الإحساس فى الجهاز العصبى المركزى بالمخ مما يجعل الشخص يفقد الشعور بالألم دون فقدانه للوعى .

فعند تعاطيه بطريق الفم تظهر الأعراض على الإنسان بعد حوالى نصف ساعة، بينما تظهر الأعراض سريعاً بعد الحقن وتتلخص الأعراض فيما يلى :

أول ما يبدأ فى الظهور على المتعاطى شعوره بالدوخه ثم يسقط فى نوم عميق ويختلف العمق فى النوم حسب الجرعة التى يتناولها الشخص، فإذا كانت الجرعة بسيطة تمكن من الاستيقاظ بعد النوم فى هدوء، أما إذا كانت الجرعة كبيرة راح فى نوم عميق مصحوب بشخير وصوت متهدج وربما راح فى غيبوبة .

أما المدمن فإنه يشعر بالانتباه عقب تعاطى الأفيون لفترة وجيزة ويعتريه القلق ثم ينام نوماً عميقاً .

وتقل سرعة النبض قليلا وتكون منتظمة قوية .

تضيق حدقة العين وتظل ثابتة لا تتحرك .

يبدو الوجه محتقناً مشوباً بزرقة خفيفة ويكون الجلد دافئاً ويتصبب العرق البارد .

الإدمان على الأفيون :

يعتبر المورفين فى أول قائمة المخدرات المسببة للإدمان ثم يأتى من بعده الخمر والكوكايين ثم الحشيش .

ويتسبب الإدمان عن طريق وصفه للمرضى فى العلاج لمدة طويلة أو عن طريق تعاطيه بالفم أو عن طريق التدخين .

وأهم أعراض الإدمان هى عدم السيطرة على القوى الطبيعية

والعقلية وفقدان المدمن لشخصيته تدريجيًّا ، وعدم قدرته على التركيز فى التفكير مع عدم مبالاته لشعور الغير ويضطرب الجهاز الهضمى ويشعر المدمن بالغشيان وفقدان الشهية للأكل مع الإمساك المزمن وتضييق حدقة العين مع اضطراب ضربات القلب .

وتظهر بعض الارتعاشات الخفيفة باليدين وعدم القدرة على التوازن فى المشى .

وتختلف الكمية التى تؤثر بمفعولها من شخص لآخر حسب درجة إدمانه ولذا يتعاطى المدمن كمية كبيرة نسبيًّا من المخدر لتؤثر بمفعولها المطلوب على جسمه أكثر من شخص غير مدمن .

ويحذر علماء العالم جميعاً من تجربة المورفين ولو مرة واحدة التى قد تكون كافية للتعود عليه وبالتالى الإدمان .

وعلاج مدمنى المورفين ميئوس منه إلا فى حالات قليلة جدًّا لا تتعدى الواحد فى المليون ويمكن إعلاجها فى مستشفى الأمراض العقلية فقط .

ومن الطريف أن المورفين لا يؤثر على الحيوانات اللافقرية ولكن يؤثر على جميع الحيوانات الفقرية وكلما ارتقى الحيوان كلما زاد تأثير المورفين عليه .

* *

الحشيش :

يعتبر الحشيش من المواد التى لا تستعمل طبيًّا أو التى لا يعرف استعمالاتها فى الطب حتى الآن ولكن كثيراً من المدمنين فى الشرق يتعاطونه لتأثيره المخدر على الأعصاب وظنًّا منهم أنه يطيل فترة الجماع عند الرجال .

ويؤخذ الحشيش على صور كثيرة منها :

يمكن تعاطيه عن طريق التدخين مع السجائر أو عن طريق الجوزة .

يمكن تعاطيه مع القهوة .

يمكن عمله على هيئة معجون مضغوط وذلك بعجنه فى الزيت مع جوز الهند والسكر أو العسل النحل ويقطع على هيئة كرات صغيرة .

تأثيره على الجسم :

يمتاز الحشيش بتأثيره المخدر على الجهاز العصبى المركزى ويرجع هذا التأثير إلى أكثر من عنصر فعال والتى لم تفصل بصورة نقية للآن، إلا أنه يمكن القول بأن أهم جوهر فعال فى الحشيش هو الكانابينول (Cannabinol) ولهذا العنصر جملة تفاعلات متضاربة على الجهاز العصبى فهو ينبه الأعصاب وينشطها ثم يؤثر عليها تأثيراً مخدراً ويخمدها، وهذا التأثير المخدر غير ثابت المفعول ويختلف من شخص إلى آخر، وتظهر الأعراض الناتجة

عن تعاطى الحشيش على الأشخاص بالصورة التالية .

عند تعاطى جرعة صغيرة أو كمية بسيطة يشعر الشخص بالسعادة داخل نفسه ويمتلىء بالثقة ويكثر الكلام بينما يتصبب عرقاً .

وعند تعاطى كمية أكبر يدخل الشخص مرحلة أخرى وهى مرحلة أحلام اليقظة مع تفكيره فى قرارة نفسه بالعظمة مع أنه يبدو كمن يفقد الوعى ولا يستطيع السيطرة على التحكم فى الأشياء التى حوله خاصة بالنسبة للوقت والمكان وينتابه خرف فى التفكير .

ولكن أهم ما يشعر به المريض هو شعوره بالثقة فى نفسه وراحته ودخوله فى مرحلة استرخاء نفسى وهدوء شامل .

وفى كل هذه الحالات لا يفقد الإنسان وعيه مطلقاً ولكنه يعيش فى خيالات وأحلام وأوهام كأنها السراب لا يمكن تحقيقها وهو فى هذا كله يملك السيطرة على عواطفه أو هواجسه. كما أن قدرته على اللمس تتضاعف وشعوره للألم يقل شيئاً ما . وتتسع حدقه العين بينما تزيد ضربات القلب فى سرعتها مع بقائها منتظمة .

وعند تعاطى الحشيش بكميات كبيرة ومتكررة.يبدأ المدمن بفترة الأحلام ثم يدخل فى حالة فقدان الوعى ثم النوم العميق الذى يستيقظ بعده فائقاً منتعشاً .

وإذا تعاطاه الشخص والمعدة خالية سواء عن طريق الفم

أو التدخين فإنه يشعر بحالة هيجان وعدم استقرار مع توتر الأعصاب .

وإدمان الحشيش المستمر يؤدى بالشخص إلى فقدان عقله وصوابه وقد يصل به إلى الجنون .

مما سبق يتضح أن المخدرات الرئيسية تختلف عن بعضها فى طريقة تأثيرها على الإنسان سواء من الناحية الوظيفية أو النفسية وأن أخطرها على الصحة هو الأفيون ويأتى بعده فى المرتبة القات ثم الخمر والحشيش .

ولما كانت الخمر والحشيش والأفيون من المخدرات التى عرفتها الإنسانية من قديم لذا فقد استوفى كل منها بحثاً سواء من الناحية الطبية أو النفسية أو الاجتماعية .

والوضع يختلف بالنسبة للقات فنظراً لأنه لم يستعمل كمخدر إلا منذ عهود قريبة واستعماله قاصر على جزء محصور محدد من العالم لذا نجد أن نصيبه من الدراسات العلمية قليل وأن مفعول القات الحقيقى غير معروف علمياً حتى كتابة هذه السطور .

فإذا نظرنا إلى النتائج التى تترتب على استعمال المخدرات وجدنا أن الأفيون كاد يقضى على أمة الصين العظيمة وجثم على كاهل الشعب الصينى حيناً من الدهر حتى شاء الله للصين أن تفيق من غيبوبتها وتبرأ من كارثتها منذ سنوات قليلة مضت .

وأما الخمر والحشيش فهى من المخدرات التى تستعمل بصفة فردية فى مختلف أنحاء العالم فضررها قاصر على من يستعملها .

أما القات فإن ضرره البليغ ناتج عن تلك الطريقة التى يستعمل بها وقد حرمته الحكومات التى ينبت بها ما عدا حكومة اليمن حيث يستعمل بطريقة جماعية مثيرة . أدمن على تعاطيه جميع أفراد الشعب رجالا ونساء العالم والجاهل ، الطفل والصبى والشاب والشيخ ، المريض والسليم ، المقيم والمسافر . ثم طريقة تعاطيه طريقة غريبة عجيبة تضيع الوقت إذ تستهلك نصف وقت الأمة بطريق مباشر وتؤثر تأثيراً سيئاً فى النصف الباقى من الوقت .

ولهذا ترك القات آثاراً بعيدة المدى على جميع صور الحياة لشعب اليمن . . . ترك آثاره الخطيرة على الصحة وآثاره الهدامة على الإنتاج وآثاراً مضللة على المجتمع ثم آثاراً ساحقة ماحقة للأوضاع السياسية .

وسيأتى شرح هذه العوامل بشىء من التفصيل فى الفصل التالى .

٤

آثار القات على المجتمع اليمنى

الآثار الصحية :

عددنا فيما سبق الأمراض المتفشية فى اليمن وهى أمراض لم يبذل لمكافحتها أى جهد من الطب الوقائى أو العلاجى وكان هناك أداة حكومية يطلق عليها عبارة « وزارة الصحة » مقرها صنعاء وكانت وزارة بلا وزير يشرف عليها الإمام السابق ويديرها مجموعة من الكتاب لا صلة بينهم وبين العلوم الطبية .

والمستشفيات التى كانت موجودة ثلاثة فى تعز والحديدة وصنعاء الأول به ١٥٠ سريراً — والثانى به ١٢٠ سريراً، والثلث به ٣٠٠ سرير ويدير هذه المستشفيات أطباء أجانب أكثرهم من الإيطاليين .

وعدد الأطباء باليمن هو ٢٢ طبيباً . . .

والعمال اليمنيون الذين كانوا يعملون بالمستشفيات لفترة طويلة كانوا يعطون شهادات تؤهلهم لمزاولة مهنة الطب . . .

والمستشفيات المذكورة كان ينقصها كل شيء لتؤدى وظيفتها . . . تنقصها الأجهزة والأدوية وهيئة التمريض . . . مستشفيات بها أسرة فقط .

ومياه الشرب تختلف فى صلاحيتها حسب مصدرها فأفضلها ما كان من ينابيع والأكثرية من آبار مكشوفة ولذا فالمياه عرضة للتلوث بكثير من جراثيم الأمراض وكثير من هذه الآبار ملوثة بدودة خيطية (Filariasis) تصيب الإنسان وتعيش فى الأغشية الليمفاوية وتبدو واضحة تحت سطح الجلد .

وطرق التخلص من الفضلات متأخرة بدائية غير صحية .

وهكذا نجد أن مجموعة الأمراض المتوطنة باليمن مع عدم وجود أى نوع من الوقاية أو العلاج كفيلة بالقضاء على أى مجموعة من الناس مهما كثر عددها .

ولكن يأبى القات إلا أن يساهم ويشترك بنصيب وافر فى جميع علل ومشاكل المجتمع اليمنى فلم يترك أى علة أو كارثة إلا وكان المسبب الأول سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

وفى المشكلة الصحية شاء أن يضيف إلى الأمراض والعلل مرضاً يعتبر أساساً لكل الأمراض ألا وهو سوء التغذية .

فالشعب لا يجد القوت الكافى أساساً لشدة فقره ومن أظهر خصائص القات على مدمنيه أنه يخمد حاسة الجوع ويشغل المعدة عن اشتهاء الطعام ويشعر متعاطيه شعوراً كاذباً

بالشبع فيمتنع عن تناول العشاء وفى الصباح يتناول وجبة الإفطار دون شهية وترتب على ذلك انتشار أمراض سوء التغذية ومضاعفاتها وخاصة لدى الطبقات الفقيرة مثل البلاجرا والأنيميا وقروح المعدة والسل والجنون وتضخم الكبد — ولولا أن من عادات الشعب اليمنى الغذائية تناول كميات كبيرة من الحلبة يوميًا سواء وحدها أو مختلطة بالخبز أو الأطعمة الأخرى لساءت الأحوال كثيراً عما هى عليه الآن ذلك ، لأن الحلبة غنية جدا بقيمتها الغذائية إذ تحتوى على نسبة مرتفعة من فتيامين ج ، د Vitamins C & D وبها من البروتين الخام ما تبلغ نسبته ٢٧٪ ومن الكربوايدرات الذائبة نحو ٥٠٪ كما تحتوى على الفسفور والكالسيوم ويوصى باستعمالها طبياً لإدرار اللبن عند المرضعات وفى حالات الضعف العام وعلاج النحافة وأمراض الرئتين ، ولهذا تقوم الحلبة حاليًا بدور هام فى المحافظة على البقية الباقية من صحة شعب اليمن كما أن الحلبة تعالج حالة القبض الشديد الذى يحدث بالأمعاء نتيجة تعاطى القات .

وتأثير القات تأثير مخدر منبه فهو يوسع حدقة العين ويثير الجهاز العصبى المركزى ويبدأ تأثيره فى الظهور بعد ثلاث ساعات من بداية الجلسة ويكون الليل قد أقبل وأرخى سدوله ويبدأ التأثير المنبه أولا فيتكلمون وينشدون الشعر ويتبادلون النكات ويطول السمر وينسون طعام العشاء لأنهم لا يشعرون بالجوع وقد يطول هذا إلى منتصف الليل أو إلى

ما بعده بقليل وكلما مضى الوقت بدأ ظهور التأثير الثانى للمخدر فترى القوم على الآرائك متقابلين تحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، عيون جاحظة ، وعضلات مسترخية وهمم فاترة ونفوس مطمئنة راضية سعيدة مهما أقبلت الدنيا أو أدبرت ثم تبدأ العقول فى الخمول فتشرد وتغيب وتهيم فى ملكوت الأوهام الهانئة والأحلام اللذيذة وحيئذ يأوى كل إلى فراشه حيث يظهر أثر المخدر هناك إن كان فى بداية الاستعمال ويفقده إذا كان قد وصل إلى مرتبة الإدمان وهي الحقيقة الشائعة السائدة .

ويستيقظ كل واحد من نومه متأخراً يشكو فتور الهمة وفقد الشهية والصداع والإمساك أو النزلات المعوية التى تسبب الإسهال الشديد . ولا يبدو عليه أى رغبة فى العمل ولا تبدو أى بادرة لنشاط أوهمة .

وقد لوحظ فى الحديدة أن القات ينقل إليها بالطائرة مرة كل أسبوع وفى اليوم التالى لوصول الطائرة بالقات يتضاعف عدد المرضى بالعيادة الخارجية بمستشفى الحديدة .

وللقات آثار كثيرة على مدمنيه فنجد أنه يسبب لهم تنبهاً جسمانياً وعقلياً ثم يؤدى الإفراط فيه إلى الخدر والفتور وفقد الشهية . ثم يفقد المدمن الثقة بنفسه والاعتماد عليها ويصبح عالة على الآخرين فى سن مبكرة حوالى الأربعين وهى السن التى كان يجب أن تكون ذروة الإنتاج الجسمانى والذهنى .

وينتج عن الإدمان الإصابة بالعجز الجنسى والعقم

وثبت أنه يؤثر على لبن الأمهات المرضعات من حيث الكم والكيف وهذا يؤثر بالتالى على تغذية الأطفال الرضع .

ومع مداومة الإدمان وتقدم السن يحدث ارتخاء فى عضلات الشرج فتخرج الفضلات إلا إراديًا .

والقات بصفة عامة طارد للنوم مضيع للشهية يجعل السليم سقيماً والنشيط بليداً وإذا بعث فى النفس بعض الانتعاش فذلك لفترة مؤقتة يعقبها رد فعل شديد .

ومن عادات تعاطى القات أن يدخن الحاضرون المداعة (وهى تشبه النارجيلة أو الشيشة) من مبسم واحد فيكون ذلك سبباً فى نقل العدوى لبعض الأمراض كالسل والأمراض الجلدية .

* * *

الآثار الاقتصادية :

حبا الله اليمن بموارد طبيعية متوفرة فى الزراعة نجد أن هناك أجواء مناخية مختلفة إذ تختلف ارتفاعات المناطق الزراعية من الساحل إلى ارتفاعات تنوف عن ثلاثة آلاف متر مما يهيئ الفرصة للعديد من الحاصلات بالنمو فى مختلف فصول السنة .

ومساحة اليمن تبلغ نحو ٤٤ مليوناً من الأفدنة منها نحو

مليون فدان منزرعة زراعات مستديمة ولكن باقى المساحة ليست قحلا بل أراضى غابات ومراعى خضراء ونصف جافة فالفرصة سانحة لإنتاج حيوانى ضخم .

ونصيبها من مياه الأمطار والعيون وما فى باطن الأرض من مياه جوفية كفيل بمضاعفة الرقعة المنزرعة .

وعدد السكان يقال إنه نحو ستة ملايين نسمة .

ولكن كل هذه الموارد الطبيعية معطلة .

قوى بشرية لا تستخدم ، إنتاج يتدهور بصفة مستمرة ، كفاية هزيلة لم تأخذ بأسباب المعرفة أو الخبرة أو المران .

زراعات بدائية جامدة الأساليب لا تعرف التطور فالكثير من الحاصلات من أصناف ذات صفات رديئة ولا تعرف كيف تمهد الأرض وتختار لها البذور الممتازة وكيف تروى بانتظام وتنقى منها الحشائش الضارة ولا كيف تسمد وتقاوم الحشرات وعمليات الحصاد والجنى والنقل والتخزين والتسويق كلها وسائل متأخرة متخلفة .

والدخل الأهلى كان موزعاً على أسوأ صورة عرفتها توزيع الدخول بين أمم العالم كله فإن ١٠ ./. من الملاك الزراعيين كانوا يمتلكون ثلاثة أرباع الأراضى الزراعية باليمن وهى تمثل أجود وأخصب الأراضى كما كانوا يمتلكون أكبر نصيب من الثروة الحيوانية .

والدخل لا يستثمر لزيادة الطاقة الإنتاجية ولكن يضيع

معظمه فى الاستهلاك .

وأول أعمدة الاقتصاد اليمنى هو الزراعة فهى مصدر الدخل الرئيسى وعماد الثروة وحرفه أكثر من ٩٠٪ من السكان .

وغلة الأرض تزيد عاماً بعد عام فى كل بلاد العالم مع ثبات عدد العمال والآلات والمخصبات ولكنها فى اليمن تضمحل عاماً بعد عام مع زيادة عدد العمال فقد أصبحت الزراعة أكثر المجالات تأثراً باستعمال القات .

فإنتاج العامل اليمنى يقل عما يجب أن يكون عليه لو لم يكن هذا القات موجوداً إذ كيف ينتج أو يعمل أى شخص قضى أكثر الليل سهراً نتيجة تنبيه غير طبيعى بسبب تعاطى القات ولم يتناول عشاءه ثم قام من نومه فى اليوم التالى مضعضع الأوصال فاتر الهمة يشعر بالصداع وثقل الجفون ينتابه الإمساك انعدم لديه الحافز للعمل واعتراه الملل لا هدف له فى الدنيا ولا غاية إلا أن تمضى ساعات الضحى والظهيرة سريعاً ويقبل العصر ليبدأ جلسات القات مع الرفاق والخلان فهو لا يعمل إذاً إلا من الضحى إلى العصر عملا ينتابه الفتور والتراخى والتكاسل فهو عمل منقوص غير متقن فإذا حولنا هذا العمل إلى عملية حسابية وجدنا أنه إذا أسقطنا الفترة التى ينامها اليمنى وجدنا فترة اليقظة تمتد من الضحى إلى ما بعد منتصف الليل وإن هذه الفترة تنقسم إلى مرحلتين الأولى مرحلة العمل والثانية مرحلة تناول القات وفترة العمل فترة لا تتم على وجهها الأكمل بسبب العوامل

الصحية والنفسية، أي أن الفرد اليمني يؤدي ربع واجبه في العمل كحد أقصى وبمعنى آخر أنه إذا كان سكان اليمن ستة ملايين فإن حصيلة العمل المنتج تعادل إنتاج ١,٥ مليون شخص فقط بينما أن احتياجاتهم من الخدمات واستهلاكهم هي احتياجات واستهلاكات ستة ملايين .

وإذا كان سوء التغذية من أكبر العوامل المحددة لإنتاج العمل فإنه لا يكفي التغلب على سوء التغذية كي يؤدي العامل عمله بطريقة فعالة سليمة فالطريقة التي يؤدي بها العامل الزراعي عمله طريقة غير فعالة ولا منتجة ينقصها الكفاءة الشخصية والنشاط والدوافع والطموح .

أما ما هي وسيلة النهوض بالعمال والعمل فكل حلول للمشكلة تعتبر هباء مالم يقض أولا وقبل كل شيء على القات وبعدها يمكن تقديم النصائح التقليدية مثل التدريب والإرشاد والتثقيف والنهوض بالصحة ومستوى المعيشة . . . . . . إلى آخر تلك المسميات ولا فائدة ترجى من بذل أي محاولة وشجرة القات قائمة . . .

وكان من نتيجة ما حاق بالفلاح اليمني أن أصبحت البساتين مهملة والزراعات متدهورة تكثر بها الحشائش وتفتك بها الآفات الزراعية من كل نوع وجنس وكان الفلاح اليمني من أمهر وأبرع فلاحي العالم في زراعة السفوح الجبلية وإنشاء المدرجات ولكن تهدمت هذه المدرجات وأهملت كثيراً .

وكان أكبر مظهر لآثار القات في الإنتاج الزراعى هو على محصول البن. المحصول الذى كان رئيسياً باليمن وبه اشتهرت ومنها صدر إلى كل بلاد العالم دون استثناء فاليمن هى أول بلد اكتشف مفعول البن كشراب منعش محبوب واليمن أيضاً هى أول من استعمل القات كمخدر بغيض . . . لقد شاركها كل العالم فى شرب القهوة . . . وبقى القات لها وحدها .

ونجد لسوء الحظ أن شجرة القات لا يحسن نموها وتزيد فاعلية المواد المخدرة الموجودة بالأوراق إلا إذا زرعت الشجرة فى تربة خاصة تحت ظروف مناخيه محددة وهى نفس التربة والأجواء الملائمة لنمو شجرة البن ، فالتربة الملائمة هى الطميية الناعمة الخفيفة الغنية بالمواد العضوية كما يلائمها المناطق الجبلية المعتدلة المناخ على ارتفاعات تختلف من ١٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ متر . ونظراً لكثرة الإقبال على استعمال القات وكثرة الأرباح التى يحققها آثر الزراع التوسع فى زراعته ويكون التوسع دائماً على حساب شجرة البن . ولا تحتاج أشجار القات إلى عناية بعد زراعتها بينما تحتاج أشجار البن إلى عناية فى زراعتها ورعاية أثناء نموها وجهد عند جنى ثمارها فتزرع تحت أشجار كبيرة ظليلة مثل المخيط والجميز البنغالى وتجمع الثمار على فترات مختلفة وتجفف فى الشمس ثم تدش الثمار بواسطة رحى يدوية لفصل القشر ثم تنقى من المواد الغريبة وتفرز إلى درجات . وشجرة القات يمكن قطف أوراقها فى أى وقت بينما تختلف

ظروف أثمار شجرة البن فهى ثلاثة أنواع حولى يثمر طوال السنة وسنوى ويغل مرة واحدة وذوالسنتين وهو متبادل الحمل أى يثمر سنة ويتخلف أخرى وهو أجودها وأول إثمار لشجرة البن يكون بعد ٦ — ٨ سنوات حيث تعطى الشجرة نحو كيلو جرام أو أقل وتزداد الكمية تدريجياً بعد ذلك وتصل إلى ٤ كيلو ويحرص زراع البن على عدم ترك أشجاره تنمو إلى ارتفاع كبير حتى يسهل قطف حبات البن، والإيراد المتحصل من شجرة البن يبلغ فى المتوسط نحو نصف جنيه مقدراً بالعملة المصرية بينما يبلغ متوسط إيراد شجرة القات نحو عشرين جنيهاً ولما كانت شجرة القات أكبر حجماً من شجرة البن وتحتاج إلى حيز من الأرض يكفى لنمو شجرتين أو أكثر من البن . . . من هذا نجد أن القات يعطى إيراداً يبلغ أكثر من عشرة أضعاف ما تغله زراعة البن علاوة على الفارق فى المجهود الذى يبذل لكل من الزراعتين .

لهذا انصرف الزراع عن زراعة البن وتوسعوا فى زراعة القات وبدا ذلك واضحاً ملموساً خلال العقدين الأخيرين وقل صادر البن سنوياً بينما اهتمت جارات اليمن فى أفريقيا مثل الصومال والحبشة بالبن وزراعته على أسس علمية سليمة لذا تزداد صادراتها سنوياً مع جودة الصنف وأصبحت شهرة البن اليمنى خرافة لا تستند إلى أساس من الواقع أو الحقيقة وأصبح بن هرر أكثر شهرة من بن مخا . وبذا فقدت اليمن مورداً هاما من موارد العملة

الأجنبية كان يتدفق عليها ثمناً لبن مخا الشهير .

فلو استعرضنا المركز الاقتصادى للبن خلال السنوات الأخيرة الماضية لوجدنا أن جملة صادرات اليمن تقدر بنحو عشرة ملايين دولار أمريكى منها ستة ملايين ثمن صادرات البن أى أن البن وحده يمثل نحو ٦٠ ./. من قيمة الصادرات وبهذا يمثل المركز الرئيسى الأول ولا ينافسه فى هذه المرتبة محصول آخر .

وجملة المنزرع من البن تبلغ ١٥٠٠٠ فدان تعطى محصولا يبلغ نحو ٤ آلاف طن أى أن متوسط إنتاج الفدان يقل عن ٣٠٠ كيلوجرام وهو إنتاج هزيل جداً .

والبن اليمنى يمثل ٢ ٠٠, من جملة التجارة العالميةللبن .

وكانت السعودية تستهلك أكثر من نصف إنتاج اليمن من البن لاعتبارات كثيرة منها الجوار وقرب المسافات وعدم وجود قيود على التجارة أو العملة وتفضيل المستهلك السعودى للبن اليمنى عما عداه من الأصناف ولكن تدهورت صادرات البن اليمنى إلى السعودية بسبب نقص إنتاجه على أثر التوسع فى القات ثم منافسة الأصناف الأجنبية وتفوقها فى الجودة حتى إنها تباع بأسعار تزيد عن سعر البن اليمنى ومع ذلك فالإقبال أشد على الأصناف الأجنبية وخاصة بن هرر والبرازيل .

أما جملة صادرات اليمن من البن إلى مختلف بلاد العالم فهى

حسب أقرب الإحصائيات إلى الدقة كما يلى :

السنة	طن
١٩٤٥	٥٣٤٠
١٩٥١	٤٨٩٠
١٩٥٣	٤٠٨٧
١٩٥٤	٢٧٩٩
١٩٥٩	٢٦٣٧

فإذا عرفنا أن أهل اليمن لا يستهلكون البن ولكنهم يصنعون شراباً من قشر البن وأكثر البن يصدر إلى الخارج وعلى هذا نستنتج من الجدول السابق أن إنتاج محصول البن تدهور إلى النصف خلال الخمسة عشرة سنة الأخيرة وهو بيان غنى عن التحليل والتفسير .

المحصول الرئيسى ينخفض إنتاجه إلى النصف بسبب واحد وهو انتشار زراعة أشجار القات على حساب أشجار البن .

انخفض الإنتاج إلى النصف وتدهور سعره عن باقى أصناف البن فى العالم . . . فقد كان سعر البن اليمنى يزيد عن متوسط الأسعار العالمية بنحو ١٥ ./. منذ خمسة عشر سنة وأصبح الآن يقل عن هذه الأسعار بنحو ٢٥ ./. . . . يا لها من حقائق مؤلمة .

كان البن ولا يزال هو المصدر الوحيد للحصول على العملات الأجنبية الصعبة ولكنه مصدر على وشك النضوب إن استمر الحال على ما هو عليه دون علاج .

ويستنفد القات قسماً كبيراً من ميزانية الأسرة إذ ينفق كل فرد جزءاً من إيراده ثمناً للقات الذى يتعاطاه وينفق العامل ربع أجره اليومى لهذا الغرض فى المناطق الجبلية وهى مناطق إنتاج القات ويزداد الثمن فى المناطق غير المنتجة للقات مثل التهائم إذ ينقل إليها بالطائرات والجمال ولذا يبلغ ثمنه هناك ثلاثة أضعاف ثمنه فى مناطق الإنتاج ولذا ينفق الفرد مبلغاً أكبر على القات رغم أنه مضطر إلى تقليل ما يتعاطاه نظراً لارتفاع السعر وذلك عند الأفراد محدودى الدخل كالعمال والفلاحين .

والماعز هى الأخرى مغرمة بأكل أوراق القات ويترتب على ذلك نقص فى إنتاج لبنها يقدر بنحو ٥٠٪ .

والضريبة المترتبة على زراعة القات تشكل الرقم الرئيسى فى إيردات الدولة حاليًّا فأضاف هذا سبباً آخر إلى جملة الأسباب التى من أجلها تحرص حكومة اليمن على بقاء القات .

وعلاج هذه المشاكل الاقتصادية لن يكون عن طريق تطبيق النظريات الاقتصادية لأن مثل تلك النظريات التقليدية وضعت على أساس وجود مشاكل معينة لم يكن من بينها مشكلة

مثل مشكلة القات .

ولن يتأتى حل هذه المشاكل حلولا عملية واقعية إلا على أيدى طليعة مخلصة من أبنائها الشبان المثقفين يهبون للوطن عمرهم .

مثل هؤلاء يفكرون فى مشاكلهم ويحاولون وضع الحلول العملية القابلة للتطبيق والتنفيذ بحيث يمكن تحقيق الأهداف دون حدوث أخطاء أو هزات اجتماعية .

ولا بد أولا من تعبئة الموارد ولكن يا ترى كف تعبأ الموارد فى بلد كاليمن قوته الاقتصادية فى حاجة ماسة إلى تدعيمها بالقوة البشرية أولا وقبل كل شيء . . . والطاقة البشرية معطلة لا تعمل إلا بربع قدرتها على العمل وبأساليب بدائية . . . واختلفت هذه الطاقة البشرية فى كل شيء . . . فى المذاهب الدينية والمراكز الاجتماعية وفى توزيع الثروة . . . وفى الأجناس . . . ولكنهم اتفقوا جميعاً على شيء واحد وهو حب القات ثم التفانى فى هذا الحب .

ولا يمكن وضع منهج للتنمية الاقتصادية قبل إصلاح الجهاز البشري ولن يتم ذلك إلا بالقضاء على القات .

وإذا كانت التنمية الاقتصادية تعني أشياء كثيرة فإن فى مقدمتها استخدام الموارد الموجودة حالياً بالأقاليم بطريقة أفضل عما هى عليه .

وفى مثل ظروف اليمن نجد أن المجال يتسع اتساعاً غير

محدود لتحسين الموارد الحالية مثل الطاقة البشرية والزراعة والثروة الحيوانية ومصائد الأسماك واستغلال المناجم .

وتتمثل عقبات النهوض الاقتصادى فى جملة مسائل أهمها كانت إلى اليوم عدم وجود طبقة من المنظمين فى الجهاز الحكومى .

ثم نظام الحكم ونظام الضرائب وطريقة جبايتها والتكوين الطبقى للمجتمع وعدم توافر الخبرة للعمال فى جميع المجالات سواء فى الزراعة أو الحرف الأخرى وما يسود المجتمع من خرافات تسيطر على أفكار الشعب ثم التفكير الفردى الانعزالى وأخيراً القات وهو أهم الأسباب وأخطرها .

لهذا نجد أن التنظيم الاقتصادى لليمن ليس مسألة هينة ترسم لها البرامج لأن العبرة بتنفيذ تلك البرامج ولا يمكن تنفيذ أى برنامج لإصلاح اقتصاديات البلاد والأوضاع على ما كانت عليه وهذا ما يجعلنا نقدر العبء الضخم الذى تضطلع به الثورة فى هذا المضمار .

الآثار الاجتماعية :

تكوين الأسرة بالمجتمع اليمنى ينطبق عليه وصف « الأسرة المستقرة » فالأبناء يظلون مع آبائهم فى نفس المنزل حتى بعد الزواج وجميع ما يحصل عليه الأبناء من مكاسب ينفقها رب الأسرة على خدمة الأسرة كلها ومن يهاجر من الأبناء إلى

البلاد المجاورة وخاصة فى الجزيرة العربية حيث تتوافر فرص العمل — يحرصون على إرسال النقود إلى رب الأسرة القاعد فى اليمن لينفق منها على احتياجات العائلة وربع قيمة هذه الاحتياجات لتوفير طلبات الأسرة من القات .

وتعمل المرأة فى الزراعة ولكن ضعف صحتها يحول دون حسن قيامها بهذا العمل ضعف الصحة الناتج عن سوء التغذية وعن استعمال القات — وهى لا تحسن قيامها بدورها الطبيعى . . . دور الأم . . . بسبب الجهل والإهمال وتأثير القات على لبن الرضاعة . . . إنها تسهر وتسرف فى السهر لتصبح واهنة مفككة الأوصال خاملة وئيدة الخطى بطيئة الحركة مثقلة الجفون .

أما التركيب الطبقى للمجتمع فيما قبل ثورة سبتمبر سنة ١٩٦٢ فيمكن تقسيمه إلى أربعة طوائف :

(١) السادة الأشراف أو سلالة النبى صلوات الله عليه وهم طائفة ممتازة كانت لهم مكانة ملحوظة — وكانوا يمتلكون الأراضى والعقارات ويشغلون المناصب الكبرى فى الدولة .

(٢) رجال القبائل الذين يكونون غالبية السكان .

(٣) الرعوية وينتسب إليهم التجار والمزارعون الذين لا ينتمون إلى قبيلة ما .

(٤) طائفة الخدم والعبيد .

والفروق بين هذه الطبقات واضحة مميزة يفرق بينها النقود والنفوذ ولكنها تتساوى جميعها فى الثقافة مساواة تكاد تكون تامة لأن مستوى الثقافة هناك هو الحد الأدنى للمعرفة فالشعب كان فى عزلة ثقافية عن العالم كله فالمدارس والسينما والمسرح والتصوير وكل الفنون والصحف والمجلات وطباعة الكتب كلها أشياء غير معروفة البتة .

ثقافة كانت وسيلتها أربعة عشرة مدرسة من مدارس المراحل الأولى وليس من بين مواد التعليم لغة أجنبية أو مادة من مواد العلوم كالرياضة والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات .

ثقافة كانت حصيلتها أسلوبا ركيكاً فى الكتابة وشعراً لا يمت إلى الشعر العربى الجزل بصلة . بعض هذا الشعر يمجد الأمام السابق عن رهبة وخوف والباقى يشيد بالقات عن رغبة ومحبة .

وهذا النصيب الضئيل من الثقافة والمعرفة جعلهم بعيدين عما يجرى فى العالم من تطور فى العلوم والمعارف .

وقد اجتمع فى القاهرة فى يولية عام ١٩٦٢ مؤتمر « مسائل التنمية الاقتصادية » وحضره وفود ٣٧ أمة وكان أعضاء كل وفد من الصفوة الممتازة أهل الخبرة والتخصص . . . وكان مندوب اليمن صبياً فى الخامسة عشرة من عمره لأنه تلميذ بالسنة الأولى الثانوية فهو فى ظنهم يستطيع أن يساير المشاكل العالمية ويدرسها ويحللها ويستوعبها . . .

أما علاقة الفرد بمجتمعه فهى تختلف عن كل ما ألفه العالم من حيث الإدراك وتحمل المسئولية وطرق المعيشة .

فمن حيث الإدراك تسود الخرافات محل الحقائق .

والشعور بالمسئولية قاصر على المسئولية الخاصة ولا شأن له بالمسئولية العامة .

أما طريقة المعيشة وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض فإنه يسودها الغموض والشك وعدم الثقة .

هذا المجتمع اليمنى بصوره التى وصفناها بايجاز يتفاعل تفاعلا شديداً مع القات حتى أصبح أكبر همه ومبلغ علمه فالناس هناك على موعد معه كل يوم حريصون عليه خصصوا له أطيب أوقات النهار وردحاً من الليل ويتخيرون لمجلسه خير أماكن الدار وصفوة الأصدقاء والخلان . . . ينشدون الشعر ويتبادلون النكات ويتسامرون . . . أجمعوا على حبه إذ لا يوجد يمنى واحد ينتقد القات أو يعترف بأضراره أو يقدر أخطاره حتى رجال الدين قد أحلوا استعماله مع أنه أشد ضرراً من الخمر والحشيش . وهناك بجوارهم فى الجزيرة العربية نهى خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن التدخين وحرمت الحكومة استعمال القات مستندة إلى أحكام الشرع الحنيف ولكن لم يتشجع أحد رجال الدين باليمن ويذكر الحقيقة التى لا مراء فيها وهى أن ما يسرى على الخمر من تحريم يسرى على القات دون تفرقة .

إنهم لا يعترفون بالمجتمع المتولد عن القات ويرفضون الاعتراف به ولا يحاولون الفكاك منه أو التأثير فيه لأصلاحه . يجذ القات جذباً هائلا للراحة والخمول والكسل والتراخى ويفرض عليهم بالواقع الرضا عن طمأنينة وسعادة وراحة بال مهما كان هذا الواقع مريراً أو قاسياً أو ظالماً ويولد لديهم حنيناً هائلا للخيال واشتهاء الجنس .

كان شعب القات معزولا عن العالم . . . كان يخاصم الدنيا كلها فى عزلته التى صنعها بنفسه داخل عزلة اليمن التى صنعها الإمام السابق . . . عزلة داخل عزلة . . . أسوار عاتية مزدوجة أحاطت باليمن ولفته فى ظلام دامس فلم يسمع العالم الخارجى عنه شيئاً إلا همساً .

وهكذا كان الشعب فى عزلة تامة عن العالم لا يعلم ولا يريد أن يعلم بما يجرى حوله بينما أمم العالم تحث الخطى بل تنهب الأرض نهباً لتحقيق مستويات من العيش أكرم وأفضل لبنيها .

وزاد المر مرارة وعلقماً والطين بلة ووحلا أن الشعب كان خلف تلكم الأسوار يرسف فى أغلال ليس لها مثيل . . . أغلال صنعت من شجرة خبيثة هى شجرة القات وأصبح فى غيبوبة ناتجة عن الظلم والقات .

على أن أسوأ النتائج التى حاقت بالمجتمع اليمنى فى عهد الأئمة الطغاة هى رضا الشعب بالوضع الذى كان قائماً وسيطرة

الأوهام والخرافات على تفكير الشعب ، فعلى سبيل المثال نذكر أن الشعب كان يعتقد فى الإمام السابق اعتقادات خرافية لا أساس لها إذ كانوا يظنون أنه ذو قوة خارقة للعادة وأنه محصن لا يمكن أن يصيبه مكروه وقد ذكر لى مرة واحد من أهل الرأى باليمن أن الإمام يحفظ قسماً لو تلاه على طائرة فى السماء فإنها تسقط فى الحال ولست أدرى إن كان صاحبي هذا يصدق ما يرويه ويحكيه للناس أم أنها من قبيل نشر الدعايات ، وقد ساعدت بعض المصادفات الشاذة العجيبة على رسوخ أمثال تلك الخرافات وغيرها فى أذهان عامة الشعب فقد انتصر الإمام أحمد على ثوار عام ١٩٤٨ الذين قتلوا والده وحاولوا تغيير الأوضاع السياسية ، كما تمكن من استعادة عرشه بعد انقلاب عام ١٩٥٥ الذى كان بقيادة أخيه عبد الله واستمر خمسة أيام وكان يمكن لهذا الانقلاب أن ينجح ، فقد وقع الإمام فعلا بياناً أعلن فيه تكليف أخيه عبد الله بتصريف الأمور نظراً لمرضه ولكنه بعد ثلاثة أيام من توقيع هذا البيان صعد إلى سطح قصره فجراً وأمسك مدفعاً رشاشاً وأطلقه على الجنود المحاصرين فسرعان ما تشتتوا وانهارت حالتهم المعنوية واستسلم البعض وفر الباقون .

كما نجا الإمام من الموت عام ١٩٦١ بحيلة عملها عند ما أطلق عليه الرصاص فأصابه فى غير مقتل فارتمى سريعاً على الأرض وتظاهر بالموت وفر الجانى مطمئناً إلى أنه أنهى مهمته وقضى

على الإمام ولكن الإمام قام وكتب له الشفاء .

مثل هذه الحوادث وغيرها جعلت الشعب يعتقد تحت تأثير مفعول القات إن للإمام قوى خارقة للعادة وأنه لا يقهر .

وهكذا رضى أهل اليمن بالمداعة والقات وتبادل النكات وقرض الأشعار والانسجام بالليل والنهار .

نعم رضوا بالمداعة فاستكانوا ومضغوا القات فضعفوا وهانوا وهاموا بالشعر وتخلوا عن الفعل فتخلفوا وناموا وتعطلوا بالنهار فطال بهم مع البؤس والفقر المدار .

كانت عبودية للإمام ورقاً للقات.

إلى أن شاء الله أن يطلع الفجر بعد طول ظلام . . . وقامت ثورة الإصلاح على يد الأحرار من أبناء الوطن يشد أزرهم دولة شقيقة منها انطلقت أولى الثورات ضد الملوك والطغاة وفساد الحكم وجعلت القومية العربية حقيقة بعد أن كانت حلماً .

وستكون الخطوة الأولى فى الإصلاح هى القضاء على شجرة القات حتى يستفاد بالطاقة البشرية بأقصى قوتها . وأكرم أوضاعها .

الآثار السياسية :

كان الاحتلال العثمانى نكبة على الأمة العربية جمعاء وعند ما تقلص ظله صحت البلدان العربية الواحدة تلو الأخرى ماعدا اليمن السعيدة التى ظلت على حالها إذ بعدما انحسر عنها ظلم

العثمانيين وقعت تحت وطأة آل حميد الدين وكانت للعثمانيين طرائقهم المتعددة فى سلب حقوق الشعوب وكان لبيت حميد الدين سلاحه الفذ فى سلب حقوق الشعب العربى اليمنى دون أن يتفوه فرد بالشكوى . . . هذا السلاح الوحيد هو نشر استعمال القات حتى أصبح عاماً شاملا لجميع طبقات الأمة وأفراد الشعب . . . فلما تمكن المخدر من الجميع وأصبح الشعب ضعيفاً مستكيناً مستسلماً راضياً استمد الإمام قوته من ضعف الشعب وخضوعه ورضوخه . . .

أصبح الإمام المريض أضعف حاكم فى العالم يغتصب وحده حقوق أمة بأسرها لا ينازعه ولا يشاركه أحد . . . إنه إمام الناس حقاً . . . إمامهم فى استعمال سيف بتار رهيب . . . سيف ليس من سيوف الإسلام . . . سيف ساحر عجيب ... هو مخدر خاص لا يستعمل حالياً إلا فى اليمن ولا تحله فى وقتنا هذا إلا شريعة اليمن وليس هناك إجماع على حبه إلا بين شعب اليمن .

كان أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين إماماً حقاً وكان دون منازع أكبر أئمة القرن العشرين ظلماً وبطشاً وقسوة .

وكان سيفاً حقاً ... وحاشا أن يكون من سيوف الإسلام ولكنه سيف فريد . . . سيف ارتفع على رؤوس ستة ملايين من البشر فناموا واستكانوا وشعروا فى نومهم واستكانتهم بلذة ونشوة ورضا . . . إنه سيف القات أعجب مخدر على وجه الأرض .

. . . هل يشبه ذلك الموقف موقف حسن الصباح من أتباعه الحشاشين فى صدر الدولة الفاطمية، لقد كانت وسيلة الصباح فى السيطرة على رجاله هو مخدر الحشيش ولكنه كان ذكياً قوى الشخصية كان أتباعه يكونون جمعية سرية إرهابية عاثت فساداً فى جميع أنحاء الشرق واغتالوا الملوك والأمراء والوزراء . . . والإمام أحمد سيطر على أتباعه بواسطة القات سيطرة علنية لاسرية فيها، واكتفى أفراد رعيته بالانطواء على أنفسهم وبقى ضرر المخدر محصوراً داخل حدود إقليمهم .

وليس هناك أدنى شك أن الأئمة من بيت حميد الدين هم الذين عملوا على نشر استعمال القات لدعم نظام حكمهم لأن القات من أولى خصائصه الشعور بالرضا والسعادة والتقاعد وتقاعس الهمم .

وعهد الإمام يحيى كان عهد القات الذهبى إذ شجع زراعته وعمل على نشره وكان هو نفسه يحبه حباً جماً وينشد فيه الشعر .

ذكر أمين الريحانى فى كتابه ملوك العرب أن رفيقاً له فى رحلة يسمى قسطنطين نظم قصيدة يهجو فيها القات وأرسلها إلى الإمام يحيى جاء فيها .

القــات فيــه عجابُ ... كما يقول الصحــابُ
درت به الشاة لمــا ... أن طاردتهــا الذئاب
ذاقتــه واســتعذبته ... وســال منهــا اللعاب

إلى أن قص القصة التى يروونها فى اليمن أن راعياً أضاع شاة من غنمه فراح يبحث عنها فرآها نائمة فى ظل صخرة وورق القات فى فمها فجربه مثلها فاستعذبه واسترسل الشاعر يقول :

أمسى يجمع منه حتى تملى الجراب
مشى يحدث عنه وفى الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوه مثله واستطابوا

وبعد أن يصف كيفية استعماله فى اليمن ويعدد الفضائل التى يرونها فيه قال :

مبا نفعه أنبئونى هل عند شخص جواب
جربته واختبارى يجدى به الإسهاب
تنتاب جسم الفتى قشـ عريرة والتهاب
وفيه يفعل مالا يقوى عليه الشراب
والصدر فيه من الوخـ ز والعذاب خراب
والنسل يضعف منه ما فى كلامى ارتياب
لا نفع فى القات لكن فيه الشقاء والعذاب
وتزهق النفس منه والقلب والأعصاب
والجفن يذبل حتى يغشى العيون سحاب
وسوء هضم وقبض منه يغيب الصواب
والرأس يثقل وطشا وبالدوار يصاب
ويعترى بعد هذا الـ مفاصل الاضطراب
لم يبق أرخت ريبا القات للقتل باب

وقد رد عليه الإمام يحيى حميد الدين – غفر الله له – بقصيدة طويلة يعدد محاسن القات ويمدحه جاء فيها :

فالعيـون جـلاء للضعيـف منـه ذهاب
وللثغـور صـباغ زمـردى يـذاب
أحسـن بثغـر مليـح له المـذاب رضـاب
ياما أحيـلاه ظلمـا تشـفى به الأحبـاب
وللنفـوس مـريح ، وللنشـاط انجـذاب
ويشـحذ الفكر حتى يخـاف منـه التهـاب
ويطرد النـوم عن من لـه الجليس كتـاب
أمـا الذى قاله قسـ طنطين فهـو سراب
أليس من جاوز الحـد أكلـه والشراب
يكون عرضـة خسر ويعـتريه اكتئـاب
والأكل والشرب مـالا بـه الكرام تعـاب
وإنمـا العيـب إسرا ف منه يبـدو العجاب
هـذا الملفـق يا قسـ طنطين منـا جـواب
يهـدى إليـك عليـه مـن الحيـاء نقـاب
لأنه ليس كفـؤا للـدر وهـو تراب
فاسـتر ملفـق يحيى فالسـتر فيـه ثواب

وغير الإمام يحيى مدح القات شعراء.وما أكثر الشعراء فى اليمن إذ يكاد كل فرد يكون شاعراً بصرف النظر عما إذا كان هذا الشعر موزون القوافى أو مختلها .

يقول الشاعر :

زمرداً يقطف الأصحاب أوقاتاً يصفو به العيش أحياناً وأوقاتا
ياعاذلى عن حصول القات مت كمداً لاتترك القات أحياءً وأمواتا

وقال فى مدحه شاعر متصوف :

بزاك معراج قلبي حين يصعده جبريل روحى إلى أعلى سماواتى

وقال شاعر غير يمنى يهجو القات :

إنما القات حشيش أخضر ليس يحتاج إليه البشـــر
فإذا مالت إليـــه فئـــة فاعـــذروهم إنما هم بقر

ومجالس تعاطى القات كما سبق وصفها تضم مجموعة من الصحاب يدخنون المداعة أثناء تخزين القات فهى عملية مكملة له ولصفو الخلان .

وينشد الشاعر للمداعة :

مـــداعتى أنيســـتى جليســـتى فى وحـــدتى
تقـــول فى كركرها بالله خـــذنى بالـــتى

وقد أدى القات رسالة للأئمة على أكمل وجه فاستطاب الشعب الخضوع لهم ورضوا عن تصرفاتهم ومجدوا أشخاصهم ورفعوهم فوق مستوى البشر .

وقد زرت أثناء زيارتى لليمن فى شهر يناير الماضى قصر البشائر

الذى دكه المشير السلال ليلة قيام الثورة وكان البدر مقيماً فيه وتمكن من الهرب وبقيت بعض مخلفات القصر وقد لاحظت بين مخلفات القصر أكواماً من المكاتبات الرسمية والرسائل التى كان يبعث بها الأهالى إلى الإمام .

ولاحظت أن أسلوب التخاطب مع الأمام أسلوب يشوبه الخضوع والخنوع وإليك أمثلة منها .

صلاة الله عليكم يا أمير المؤمنين .

مولانا أمير المؤمنين .

نقبل بواطن الأكف والأقدام .

أمد الله مدة مولانا ومالك أمرنا أمير المؤمنين والحجة على الخلق أجمعين المتوكل على الله رب العالمين والسلام عليه ورحمة الله وبركاته يردد فى كل وقت وحين .

خلاصة الأطهار الأمجاد ، روضة المجد رفيع العماد ، قرة العين والكمال ، عنوان الاعتبار والجلال .

الركن الأركن والسند المستند .

التقى النقى الطاهر الورع .

شفاء النفوس وطب القلوب وضياء العيون .

رحمتنا بالسجن والتعذيب فارحمنا بالإفراج .

وتوقيع أصحاب مثل هذه الرسائل يكون مسبوقاً بعبارات كلها ذلة ومسكنة مثل تراب نعالكم .

العبد المملوك .

وكان القسم المتداول « ورأس الإمام » وكنت تسمع عبارات مثل « على العين والرأس أمر الإمام » .

ويقول الشاعر المنافق :

يامن يخالف أمر مولانا ويعصيه لا بـــد مـــن يـــوم تراه
لابد من يوم يشيب الطفل فيه والطـــير يرسى فى سمـــاه

ومن أعجب الأمور أن القات كان يوزع ضمن جراية الجند وأهم عناصر هذه الجراية هى القات والبر (الحنطة) .

كان من نتيجة انعدام الحرية الشخصية والسياسية فوائد عظيمة للإمام فقد حصن نفسه ضد أى تهديد داخلى إذ لا يستطيع أى فرد أن ينتقد أو حتى يتحدث عن نظام الحكم وعيوبه وشوائبه وبهذا أصبح الإمام الجن فى مأمن تام لا يخشى شيئاً بعد أن جثم على أنفاس شعبه بوسيلتيه الجبارتين انعدام الحرية والقات . . . ولكن ماذا كانت نتيجة انعدام الحرية بالنسبة للشعب . . . ؟

لقد كانت النتائج بالغة الخطر شديدة الضرر بهذا الشعب يصعب تعدادها ويطول شرحها ويصعب تقريرها فمهما أسهب فى الشرح أو بذل من جهد فى التصوير فان نستطيع أعطاء صورة حقيقية للواقع المرير ، واقع بالغ من قسوته ومرارته أن الستة ملايين الذين يعيشون فيه لا يشعرون بما هم فيه ولا يدرون إلى أى درك فى الهاوية انحدروا ، ويكفى أن نذكر من تلك النتائج

ثلاث وهى : فقدان كل من الوعى . . . والثقة . . . والاندفاع الشعبي الخلاق .

لقد قضى على وعى الشعب قضاء تاماً ، هذا الشعب الأصيل ذو التاريخ المجيد الذى قام بدوره فى حضارة العالم قبل خمسة عشر قرناً ثم ساهم بنصيب وافر فى الفتوحات العربية فى صدر الإسلام وساهم فى أدب اللغة وفقه الدين نجده يعيش اليوم وليس لديه أى قدر من الوعى الظاهر أو المكنون حتى ذلك الوعى الفطرى الموروث كان قبل الثورة فى حالة تعطل تام .

كما انعدمت الثقة على جميع المستويات وفى جميع الاتجاهات انعدمت الثقة بين أفراد الطبقة الواحدة وبين طبقات الشعب الاجتماعية المختلفة وهى معدومة أصلا بين الزيود والشوافع والاسماعيليين وكانت معدومة بين كل هؤلاء وبين اليهود قبل رحيلهم إلى فلسطين المحتلة فى السنوات القليلة الماضية والثقة كانت معدومة بين الحاكم والمحكوم فلم تكن هناك ثقة مطلقاً بين أى فرد من الشعب فى أى فرد حكومى أو أى جهاز حكومى من أوطى درجات الحكم وتتدرج عدم الثقة صعوداً حتى تصل الإمام ومجلسه وكان الجهاز الحكومى لا يثق فى نفسه والأجهزة الحكومية المختلفة تتنافر وتتحزب ويكيد بعضها للبعض الآخر والإمام سيف الإسلام لا يثق بكل أولئك وهؤلاء لا يثق بوزرائه ورجاله المقربين منه كان لا يثق بأشقائه ولا يثق

بولده الذى منحه ولاية العرش على غير ما يقضى به عرف عائلة حميد الدين، كان لا يثق بأسرته وحريمه . . . ولا يثق بجيشه سواء كانت قوات الشمال أو الجنوب وسواء كانوا زيوداً أو شوافع . لا يثق بأى دولة أخرى عربية كانت أو أجنبية وبديهى أن شخصاً له هذه الطباع لا يثق حتى فى نفسه وبذا أصبح عدم الثقة « هى طعام الشعب وشرابه أصبحت مادة تسرى فى الدماء لتغذى كل خلية من خلايا الجسد وترتب على هذا فقدان الأمل فى أى إصلاح أو أى بارقة أمل للإصلاح .

ومن بين نتائج انعدام الحرية وعدم وجود ذلك الاندفاع الشعبي الخلاق وهى الصفة الملازمة لكل أمة أو شعب يريد الحياة ويريد العمل إذ كيف يتسنى للأمة أن تأخذ مكانتها فى الوجود دون أن تكون هناك تلك القوى الدافعة المحركة للجهود الكامنة للطاقات البشرية التى يمكن أن تستغل لخير المجموع وإسعاده فهذا الاندفاع الذاتى للقوى البشرية ضرورة لازمة . . . فلا شك أن هذه القوى وتلك الطاقات البشرية موجودة ما دام هناك مجموعة من الناس تعدادها ست ملايين . . . ولكنها قوى كانت راكدة معطلة متجمدة لأسباب نفسية ووظيفية (فسيولوجية) أما النفسية فترجع إلى سلب الحرية وأما الوظيفية فمرجعها إلى تعاطى القات .

* * *

نستخلص مما سبق ذكره أن القات مخدر لا شك فى ذلك وأنه ينتشر فى أفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وقد حرمته كل الحكومات إلا حكومة اليمن ويأتى القات بعد الأفيون فى خطره ويسبق الخمر والحشيش .

ولا تزال الدراسات العلمية عنه قلياة ولا بد من إجراء بحوث علمية مستفيضة علمية لدراسة أسباب الإدمان والبحث عن وسيلة لعلاجها طبيًّا .

وقد ترك القات آثاره البغيضة على أمة اليمن فقد أنحل أجسامهم استعمال القات وترادف الهموم .

عيون مسهدة جمدت لا تجود حتى بالدمع كأن الدمع لم يخلق لهم .

وأجساد متراخية وجنوب قد نبت بها المضاجع . . . وحلوق جف ريقها وألسنة عجزت عن الشكوى ونسيت حتى الدعاء . . . تمضى بهم الأيام وأنياب الخطو بطيئات المسرى وليال لا تتحرك كواكبها ... وجوم حزين كان يملأ سماوات اليمن وآفاقها . . .

الخاتمة

لن تحل المشكلة بخطب وعظات تلقى أو كتب ومنشورات توزع أو قوانين تسن . . . إن المشكلة أكبر من كل هذا بكثير وكل دقيقة تمضى تزيد الأمر تعقيداً ولن تحمل لا بقيام حكومة رشيدة تضع سياسة مرسومة حكيمة للقضاء على القات تدريجياً والحمد لله لقد قضى على حكومة الأشرار وجاءت حكومة الأبرار المصلحين .

ولن يتم أى علاج إلا إذا تغيرت علاقة اليمنى ببيئته وتغير إدراكه ونظرته للأمور ولن يحدث كل هذا إلا إذا قضى على شجرة القات .

وهل يا ترى تتم مشاريع التنمية الاقتصادية أولا وبعدها يأتى الإصلاح الاجتماعى أو يتم الإصلاح الاجتماعى أولا ، وسواء كان هذا أو ذاك فلن يتم شىء ما دامت شجرة القات تنمو على سفوح جبال اليمن .

وما من شك فى أن حكومة الثورة الرشيدة ستعنى بجميع برامج الإصلاح ومنها نشر التعليم وإعادة نشر الثقافة الإسلامية على قواعد سليمة غير مضللة ولا مضللة . لا تهدف إلى استبداد فرد بدعوى أنه من سلالة النبى صلوات الله عليه والنبى منه

بریء . وكيف لا يبرأ منه وهو الداعى إلى المساواة . « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . نبى لم يقل قط بوجود شرفاء وأئمة حتى لو كانوا للإسلام سيوفاً . نبى دعا إلى دين يستوى فيه الشريف والمشروف . . . نبى لم يحلل دينه استعمال المخدرات .

ومن تلك البرامج أيضاً سرعة النهوض بالزراعة وتربية الحيوان والتصنيع على أحدث النظم العلمية والتدريب على جميع المستويات كل بما يناسبه وبذا يجد أفراد الشعب ما يشغلهم ويملأ وقت فراغهم بالأعمال المثمرة المنتجة فيكون تحقيق الأرباح وزيادة الأجور من العوامل التى تساعد على التخلى عن القات ولو تدريجياً .

يجب أن يصنع أبناء اليمن كل هذا حتى تذوب ثلوج التجمد وبذا تستطيع اليمن أن تتحرك حتى تدرك الطريق .

مراجع البحث

1. Hunnius. C.: "Pharmazeutisches Worterbuch" 1959.

2. Barley, L.H.: "The Standard Cyclopedia of Horticulture" Macmillan, New York - 1947.

3. Baird, D.A.: British Medical Journal 1951, pp. 15-22.

4. Glaser: "Travel in Arabia": The. Geographical Magazine 1887 p. 291.

5. United Nations Commission On Norcotics Drugs. "The problem of khat 20 April 1956.

6. Annual Report of the Kenya Department of Agriculture 1947 p. 45.

7. Anonymous: "The need for the control of khat". East African Medical Journal, 1945, 22-1 pp. 9-10.

8. League of Nations Advisory Committee On Traffic in Opium and other dangerous drugs. (Report on the characteristics and uses of the plant kat. Document O.C. 1617, 3 Feb. 1936.

٩ - د. أحمد فخرى : اليمن بين القديم والحديث محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية ١٩٥٩ .

١٠ ـ جان جاك بيربى : جزيرة العرب ـ تعريب نجده الهاجر وسعيد الغز ـ بيروت ١٩٦٠

١١ ـ أمين الريحانى : ملوك العرب ـ الجزء الأول ـ بيروت ١٩٥١؛

١٢ ـ محمد السيد أيوب : «شجرة القات وآثارها على المجتمع العربى اليمنى» مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ـ المجلد الخامس ـ العدد الثانى مارس ١٩٦٢

محتويات الكتاب

صفحة

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف
سنة ١٩٦٣

يونيو ١٩٦٣

الثمن ٣٠ مليماً